شخصيات الكتاب المقدس

Atef Wagih

١ آدم وحواء
٢ قايين وهابيل

البابا شنوده الثالث

http://coptic-treasures.com

شخصيات الكتاب المقدس

١ آدم وحواء
٢ قايين وهابيل

1- Adam & Eve
2- Cain & Abel

البابا شنوده الثالث

Pope Shenouda III

2nd reprint
March: 1980

الطبعة الثانية
مارس ١٩٨٠

http://coptic-treasures.com

رقم الإيداع: ٢٦٤٤/٨٠

دار العالم العربي للطباعة
٢٣ شارع الظاهر — القاهرة
ت: ٩٠٦٧٠٦

http://coptic-treasures.com

قداسة البابا شنوده الثالث

H.H. Pope Shenouda III

http://coptic-treasures.com

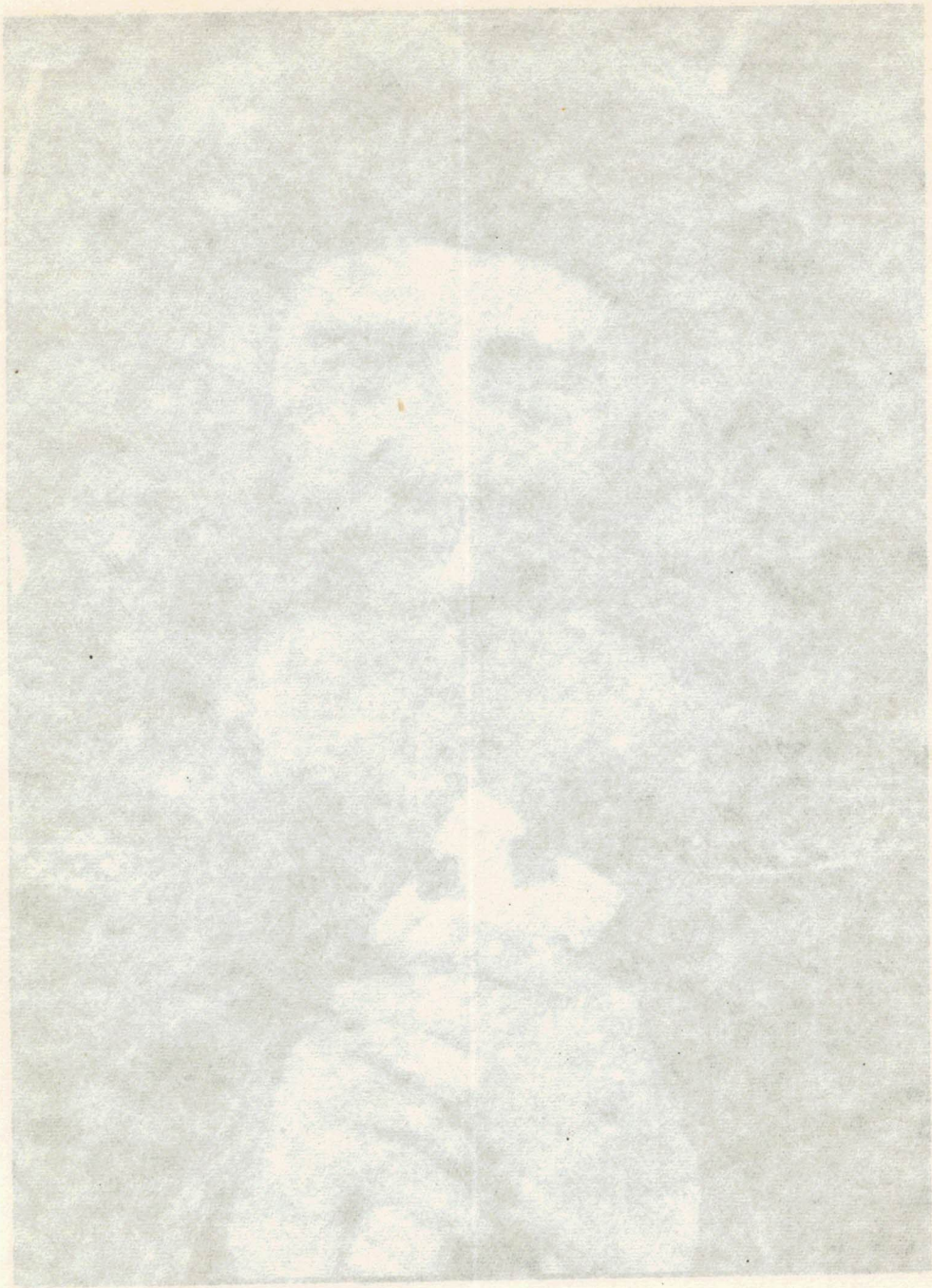

H.H. Pope Shenouda III

http://coptic-treasures.com

فهرست

صفحة

مقدمة ٦

شخصيات الكتاب ٨

آدم وحواء ١٥

بهاؤهما الأول ١٦

خطايا عديدة لأبوينا الأولين ٢٢

نتائج هذه الخطايا وعقوباتها ٣٤

قايين وهابيل ٤١

كتب اخرى للبابا ٥٥

http://coptic-treasures.com

مقدمة

ليست هذه دراسات فى العهد القديم، ولا هى مقدمات لأسفاره، إنما هى تأملات روحية، تقدم منهجاً تأمليا فى الكتاب.

وقصتها قديمة معى ...

إذ كنت قد قمت بتدريس العهد القديم فى الكلية الاكليريكية، عقب تخرجى فيها، من اكتوبر سنة ١٩٤٩، أى منذ حوالى ثلاثين عاماً ... كما قمت بتدريس العهد الجديد من سنة ١٩٥٢.

وكنت أرى الكتاب – كما قدمه الرب لنا – روحاً وحياة...

وهذا ما أريد أن اقدمه لك، أيها القارىء العزيز

تماماً، كما قدمته فى محاضرات يوم الثلاثاء بالكاتدرائية الكبرى، خلال ثلاث سنوات من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٢م

وأود من أجلك، أن أتابع نشر هذه المجموعة، التى احب ان تحتفظ بها معك، كاملة...

وثق أنك سترى حياتك الخاصة، من خلال شخصيات الكتاب ... فالنفسية البشرية هى هى، منذ آدم، وحواء إلى يومنا هذا...

وفى الكتب المقبلة من هذه السلسلة، أود أن أقدم لك، بمشيئة الرب:

١ – نوح البار
٢ – ابراهيم ولوط
٣ – يعقوب وعيسو
٤ – يوسف واخوته
٥ – صموئيل النبى
٦ – شاول وداود
٧ – داود النبى والملك
٨ – ارمياء النبى
٩ – نحميا
١٠ – اشعياء... الخ.

واتابع معك شخصيات العهد القديم، حتى يوحنا المعمدان ... كما نتناول شخصيات العهد الجديد أيضا، إن أحب الرب وعشنا

http://coptic-treasures.com

وهناك كتب أخرى عن تأملات فى اسفار الكتاب منها:

١ – دم ونار «عن ذبائح العهد القديم»
٢ – تأملات فى المزامير «وبخاصة مزامير الأجبية»
٣ – تأملات فى سفر نشيد الأناشيد
٤ – تأملات فى سفر الرؤيا
٥ – تأملات فى العظة على الجبل

واحتاج إلى صلواتك، لكيما يعطنى الرب وقتاً وقوة
كن معافى فى الرب

شنوده الثالث

٢٤ فبراير ١٩٨٠ «١٦ أمشير»
«الاحد الثانى من الصوم الكبير»

http://coptic-treasures.com

شخصيات الكتاب

*** قدم لنا الكتاب المقدس الوانا متنوعه من «أناس الله القديسين»:**

إنها صور متعددة من قديسين، كل منهم له طابعه الخاص، يختلفون فى العمر والجنس والوظيفة والحياة الاجتماعية والاسلوب الروحى.

وذلك لكى نتعلم أن القداسة ملك للكل، وليست وقفا على فئة معينة من الناس دون غيرها...

فلم يقدم لنا الكتاب حياة القداسة أو حياة الكمال، قاصرة على الانبياء والرسل مثلا، أو على الكهنة ورؤساء الكهنة، أو على صانعى العجائب والمعجزات، إنما هى للكل، وهى بإمكان كل أحد...

*** قدم لنا الكتاب المقدس قديسين فى مراحل متفاوتة من العمر:**

منهم الاطفال مثل صموئيل، ومنهم الصبيان مثل داود وأرمياء. ومنهم الشباب مثل يوسف الصديق، ويوناثان، ومار مرقس ويوحنا الحبيب. ومنهم الرجال الناضجون مثل موسى وبطرس، ومنهم الشيوخ مثل نوح واخنوخ وابراهيم... وسمعان الشيخ

*** قدم لنا رجالا ككل هؤلاء. كما قدم لنا نسوة قديسات...** مثل مريم العذراء، وحنة النبية، وسارة، وراعوث، واستير، واليصابات، ومريم اخت لعازر... وغيرهن كثيرات...

*** وكما قدم لنا قديسين متفاوتين فى العمر، قدم لنا أيضا قديسين متفاوتين فى المركز الاجتماعى، وفى الغنى والفقر: فالمسألة أولا وأخيرا مسألة قلب مستعد لعمل النعمة فيه، ايا كان مركزه أو وضعه المالى أو وظيفته فى المجتمع**

وهكذا قدم لنا الكتاب قديسين أغنياء جدا مثل أيوب الصديق، وأبينا ابراهيم، ويوسف الرامى. كما قدم لنا فقراء مثل الأرملة التى دفعت من أعوازها فلسين فى الصندوق، ومثل ارملة صرفه صيدا التى استضافت ايليا النبى، ومثل لعازر المسكين الذى كان يستعطى، وكانت الكلاب تلحس قروحه...

قدم لنا الكتاب رعاة غنم مثل داود واسحق ويعقوب، وصيادى سمك مثل بطرس واندراوس، وعشارين مثل متى وزكا، وملوكا مثل داود ويوشيا، ووزراء مثل دانيال ويوسف، وأسرى حرب مثل الثلاثة فتية، وابطالا مثل شمشون، وقضاة مثل جدعون، وطبيبا مثل لوقا، وكاتبا مثل عزرا، وخادما مثل لعازر الدمشقى...

http://coptic-treasures.com

*** وقدم لنا الكتاب أيضا قديسين متفاوتين فى ثقافتهم وعلمهم:**

فبينما نرى موسى الذى «تهذب بكل حكمة المصريين»، وبولس الذى كان من علماء عصره، وسليمان الذى كان أحكم أهل الارض فى زمانه، نرى أيضا جهال العالم الذين اختارهم الله ليخزى بهم الحكماء ...

*** كذلك قدم لنا الكتاب أمثلة متفاوتة فى البتولية والزواج والترمل، وكلها كانت تحيا حياة مقدسة طاهرة أحبها الرب ...**

قدم لنا بتوليين قديسين مثل ايليا واليشع ويوحنا المعمدان ويوحنا الحبيب، ومتزوجين قديسين مثل نوح البار، وبطرس الرسول، واخنوخ ابى الآباء الذى رفعه الله اليه ... كما قدم لنا من عاشوا حياة مقدسة فى الترمل مثل حنة النبية، ومن تزوجوا بعد ترملهم مثل راعوث، ومن تزوجوا بأكثر من واحدة مثل ابراهيم وموسى وداود ...

وعلى جبل التجلى، ظهر السيد المسيح، محاطا بايليا البتول، وبموسى المتزوج، والكل يحيط بهم نور عجيب.

وحول الصليب، كانت مريم العذراء ويوحنا البتول، مريم زوجة كلوبا التى انجبت عددا كبيرا من البنين والبنات ...

*** قدم لنا الكتاب من عاشوا حياة مقدسة منذ البدء، ومن جاءوا إلى الرب اخيرا، ورحمهم الله وقبلهم اليه:**

قدم لنا قديسين من بطون أمهاتهم، مثل يوحنا المعمدان الذى من بطن امه امتلأ من الروح القدس. كما قدم لنا قديسين وقديسات عاشوا فى عمق الخطية قبل لقائهم بالرب، مثل اللص اليمين، والمرأة التى بللت قدمى الرب بدموعها، ومثل راحاب الزانية، وقدم لنا الكتاب اشخاصا عاشوا من قبل بعيدين عن الله، مثل مريم المجدلية التى اخرج منها الرب سبعة شياطين، والمرأة الكنعانية التى كانت من شعب ملعون أممى ...

وقدم لنا قديسين من مضطهدى الكنيسة، مثل شاول الطرسوسى، ومثل الجندى الذى طعن المسيح بالحربة.

*** قدم لنا الكتاب المقدس شخصيات تحمل ألوانا من الروحيات، متنوعة، ومتغايرة ولكننا نراها كلها متكاملة:**

قدم لنا ايليا الشديد الغارى، الذى اغلق السماء ثلاث سنين وستة أشهر فلم تمطر، والذى قتل المئات من انبياء البعل وانبياء السوارى، وانتهر آخاب الملك، وقال لتنزل نار من السماء وتأكل الخمسين فنزلت واكلتهم. كما قدم لنا الكتاب ارمياء النبى الباكى الذى سكب دموعه ومراثيه.

http://coptic-treasures.com

وأرانا الكتاب كيف أن الله عمل فى الشخصية النارية، كما عمل فى الشخصية الباكية. واستخدم الاثنين فى بناء ملكوته. فليس المهم هو نوعية الشخص، إنما تسليمه لإرادته فى يد المشيئة الإلهية.

فى الكتاب نرى شخصية بطرس الرسول المملوءة غيرة وتسرعا واندفاعا، مع شخصية توما المملوءة حرصا وشكا وتريثا وحبا للفحص وبعدا عن الاندفاع. وكليهما فى يد الرب، يعمل بهما. ونرى فى الكتاب كيف استخدم الله اناسا كما هم، بينما غير البعض فحول يوحنا ابن الرعد، تلميذ المعمدان إلى قلب كله حب...

*** وكل فضيلة تعجبنا، نرى شخصيات فى الكتاب تمثلها:**

نرى ايوب يمثل الصبر، وسمعان الشيخ يمثل الرجاء والانتظار. نرى داود يمثل التوبة والانسحاق، وابراهيم يمثل الطاعة والايمان. نرى يعقوب الهادىء المحتمل، ويوحنا المعمدان المشهور بالشجاعة والمواجهة، وبولس المملوء نشاطا وغيرة وحركة وتعليما كما نرى العذراء المشهورة بالصمت والتأمل...

إنها باقة من الفضائل متنوعة الازهار والألوان والعطور:

يقدمها الكتاب المقدس، فى اشخاص اتقنوها عمليا، وتركوها لنا كقدوة ومثال. بحيث أننا إن أردنا صفة ما، أو فضيلة ما، سنجد حتما الشخص الذى يعطى لها صورة مثالية. وهكذا يكون الكتاب جامعا لكل ما نريد.

*** لذلك لا ييأس أحد مفتكرا أن حالته لا تناسب دعوة الله:**

فالله مستعد أن يدعوك كما أنت، أيا كانت حالتك، أو ثقافتك، أو سنك، أو مركزك، أو وضعك الاجتماعى... انه «الداعى الكل إلى الخلاص»... ولعلك تجد مثيلا لك فى الكتاب المقدس، قد عمل الله فيه وبه...

لا تقل إذن «لست أصلح». فليس المهم هو صلاحيتك، انما المهم هو عمل الله معك. والله قادر أن يعمل مع الكل. قل له اذن «مستعد قلبى يا الله، مستعد قلبى» «مز ٥٦».

*** ومن الأمور المعزية أيضا فى الكتاب أنه قدم لنا مثاليات مثلنا، لقديسين كانت لهم ضعفاتهم ونقائصهم وسقطاتهم:**

ولكن روح الله قد عمل فيهم، وأوصلهم إلى درجات عليا فى القداسة، على الرغم من هذه الطبيعة التى يمكن أن تضعف أحيانا، وتسقط... وما أعمق وأصدق قول الكتاب: **«ايليا، كان انسانا، تحت الآلام مثلنا...» «يع ٥:١٧،١٨».**

http://coptic-treasures.com

ومع أنه كان تحت الآلام مثلنا، إلا أنه «صلى صلاة». واستطاع أن يغلق السماء، وأن يفتحها.

قدم لنا الكتاب ابراهيم الذى خاف أن يقتلوه، فقال عن زوجته سارة إنها اخته. ويعقوب الذى خدع أباه، وسرق بركة أخيه. وشمشون الذى اغرته دليلة، فكسر نذره. ونوحا الذى سكر وتعرى، وداود الذى زنى وقتل، وتوما الذى شك، وبطرس الذى أنكر...

لم يقدم لنا الكتاب قديسين معصومين، أو بشرا من نوع الملائكة، انما قدم بشرا مثلنا، واقعا لا خيالا... قدم النفس البشرية التى نعرفها، والتى اختبرناها، «الاوانى الخزفية، السهلة الكسر، التى عمل فيها الخزاف العظيم، وصنع منها أوانى للكرامة، وجعلها رائحة بخور ذكية، أمام الملائكة والبشرية ... وكان «فضل القوة لله وليس لنا». أما عن الحروب الروحية التى تعرض لها هؤلاء، فيعزينا الكتاب بقوله: **«الحرب للرب. والرب قادر أن يغلب بالكثير وبالقليل**

قدم لنا الكتاب المقدس عينات من قديسين، من نفس نوعنا، يمكن أن تضعف، ويمكن أن تسقط، ويمكن أن تخطىء وأن تزل...

*** ولكنه قدم لنا فى هؤلاء القديسين الذين أخطأوا، صورا رائعة من التوبة. نصف الحقيقة أنهم أخطأوا، والنصف الآخر، الأروع، أنهم تابوا...**

إن الكتاب المقدس صريح وواقعى. إنه يقدم لنا قديسين من نفس طبيعتنا، التى يمكن أن تخاف، وأن تشتهى، وأن تفتر، وأن تهرب، وتختبىء من الله ... حتى السبعة ملائكة الذين للسبع كنائس فى آسيا، نراهم من نفس الطبيعة البشرية العادية:

لذلك حينما ندرس هؤلاء الرعاة، الذين وصفهم الكتاب بأنهم ملائكة، لا ننسى أن واحدا منهم كان فاترا، لا هو حار، ولا هو بارد، وكان الله مزمعا أن يتقيأه «رؤ ٣:١٦». ونرى واحدا آخر منهم، على الرغم من تعبه وكده لأجل الله، عاد وترك محبته الأولى، وأرسل له الله قائلا «أذكر من أين سقطت وتب» «رؤ ٢:٥». ونرى ملاكا ثالثا من ملائكة هذه الكنائس السبع، يقول له الرب «إن لك اسما انك حى وأنت ميت» «رؤ ٣:١».

إنها نفس الطبيعة البشرية التى لباقى الناس ... والكتاب المقدس لا يكلمكم من وحى الخيال، ولا يصور لكم قديسين لهم أجنحة من نور ونار، يطيرون فى السماء، ويسبحون فى أجواء القداسة العليا...

*** ولكن بعمل الله القوى الذى عمل فيهم، بنعمته التى دخلت إلى قلوبهم، بروحه القدوس الذى أرشدهم وقواهم وأشترك فى العمل معهم ... بهذا قد وصلوا إلى ما وصلوا اليه ... وتغيروا...**

http://coptic-treasures.com

بطرس الذى خاف ذات مرة أمام جارية وانكر المسيح، تحول إلى القديس بطرس الجبار العنيف، الذى وقف امام ولاة وملوك، وقال للشيوخ ولرؤساء الكهنة «ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس»... جاهر بالإيمان، وتعب لأجله، وصار شعلة من نار، وصلب، ومات شهيدا...

ما هذا يا أبى القديس بطرس؟ يجيب: لقد كنت ضعيفا مثلك، وخائفا مثلك. ولكن الله عمل فى ضعفى، وروحه قوانى وشددنى، فشهدت له أمام الكل...

إذن، حينما نجد القديس بطرس الرسول قد ملأ الدنيا تبشيرا، لا نقول إنه من طبيعة اخرى سامية غير طبيعتنا ... كلا، إنه مثلنا. ولكنه فتح قلبه لعمل الله، وسلم مشيئته لمشيئه القدوس...

وإن رأينا انسانا مثل القديس بولس الرسول، قد تعب أكثر من جميع الرسل، وكرز فى كل أرجاء الأرض، فلا نظن أنه قد ولد هكذا... وإنما هو نفسه يعترف ويقول: أنا الذى كنت من قبل مجدفا ومضطهدا للكنيسة، ولكننى رحمت لأننى فعلت ذلك بجهل...

وإن عرفنا جبارا من جبابرة الروح والرعاية مثل القديس موسى النبى، الذى أجرى الله على يديه معجزات فى أرض مصر، وشق البحر بعصاه، وضرب الصخرة ففجر منها الماء، وأنزل من السماء المن والسلوى ... فلا نظن أنه قد ولد هكذا ... بل أنه عاش فى مبدأ حياته كأمير فى قصر فرعون، بكل ما تحمل الإمارة من رفاهية وتنعم وكبرياء، معتدا بنفسه، يضرب المصرى فيقتله. ولكن الله أمسك به، وعلمه طريقه. أمسكه «ابن النجار»، بالفارة والمنشار، وأزال نتوءاته، وصنفره، وعمل فيه، حتى صار قديسا عظيما لا نستحق التراب الذى يدوسه بقدميه ... «وصار الرجل موسى حليما جدا، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» «عد ١٢:٣».

هذه عينات من الناس، أخذها الله كما هى، وعمل فيها، وعمل معها، وصارت له، واخذت من بهائه، ومن قوته...

وبالنسبة اليك، لا تشابه القديسين فى ضعفاتهم، وانما فى طهرهم.

لا تتهاون معتذرا بأن القديسين أنفسهم قد أخطأوا، إنما انظر الى توبتهم وأعماقها العجيبة، والتصاقهم الطبيعى بالله.

*** وحينما نقول إنهم أخطأوا، فلا نعنى أن حياتهم كلها كانت خطية. بل السقطات كانت الوضع العابر الطارىء فى حياتهم. أما القداسة فكانت الوضع الطبيعى الدائم.**

إذا عرفنا أن داود فى وقت ما، قد زنى وقتل. فليس معنى هذا أن حياته كلها كانت زنى وقتلا. وليس معنى هذا أن يتطاول بعض الوعاظ على هذا القديس العظيم، ولا يتحدثون إلا عن خطيئته بلون من الاستصغار!! وينسون أنه رجل الصلاة والتسبيح

http://coptic-treasures.com

والمزامير، رجل المزمار والقيثار والعشرة الأوتار، رجل الإيمان والوداعة، الذى قال عنه الرب نفسه «فحصت قلب داود، فوجدته حسب قلبى»

إن الشر لم يكن طبيعة فى هذا البار، الذى حل عليه روح الرب، والذى هزم جليات، واحتمل شاول، وغفر لشمعى بن جيرا، وسبح للرب تسابيح جديدة ... إنما هى صفات طارئة، سمح بها الرب ليعطى قديسه انسحاقا ودموعا، ويصيره درسا فى التوبة، كما كان درسا فى الصلاة، وفى الوداعة، وفى الشجاعة.

وبنفس الوضع حينما نذكر خوف ابينا ابراهيم، وقوله عن امرأته سارة إنها أخته ... لا ننسى أبدا إيمان الرجل، ونسكه، وشجاعته، وكرمه، وطاعته للرب حتى رفع السكين ليقدم وحيده المحبوب محرقة ... ولا ننسى مذابحه وخيامه، وتركه لأهله وعشيرته وسعيه وراء الرب...

*** كذلك فى حديثنا عن قديسى الكتاب، ليس المهم نقطة البدء فى حياتهم، فربما بدأ البعض منهم كأشخاص عاديين. إنما المهم هو ما انتهوا إليه...**

وهكذا يقول لنا الكتاب «انظروا إلى نهاية سيرتهم، فتمثلوا بإيمانهم» «عب ١٣:٧». فجدعون مثلا بدأ كإنسان عادى جدا، ومريم المجدلية بدأت بداية سيئة جدا، وكذلك راحاب وباراباس. وشاول الطرسوسى بدأ مجدفا ومضطهدا للكنيسة ... ولكن نقطة البدء فى حياة القديسين لا تعنينا كثيرا، بقدر ما يعنينا خط سيرهم، وفتح قلوبهم لله، وكيف انتهوا وكملوا فى الإيمان...

*** كذلك يهمنا فى سير قديسى الكتاب، ليس عملهم فقط وحياتهم وصفاتهم، وانما بالأكثر عمل الله معهم، وطريقة معاملته لهم...**

لقد كانت حياة هؤلاء القديسين، مجرد مجال عمل فيه الله. ونحن نهتم بهذه النقطة بالذات فى حياة قديسى الكتاب ... يهمنا جدا دور الله فى حياتهم. كيف عاملهم الرب؟ وكيف عامل غيرهم من الناس الذين اتصلوا بهم؟ كيف كانت معاملة الله لقديسيه، وكيف كانت معاملته للأشرار؟ ومعاملته للساقطين وللتائبين وللقائمين...

إن الكتاب هو سجل جميل لمعاملة الله مع الناس...

ومن واقع هذه المعاملة نأخذ فكرة عن صفات الله الجميلة، وعن حبه وطول أناته، وحكمته وصلاحه، وقوته وقدرته ... ونأخذ من كل هذا دروسا لأنفسنا ومجالا لتأملاتنا.

http://coptic-treasures.com

*** وفى سير قديسى الكتاب، لا نريد أن ندرس تاريخا، وإنما أن نمتص حياة...**

فالكتاب المقدس لم يقصد به أن يكون كتاب تاريخ، إنما هو كتاب إيمان، وكتاب حياة. وهذا هو الفرق بين دراستنا للكتاب، ودراستنا لكتب التاريخ. التاريخ يذكر أحداثا متتابعة، ويقدم قصص أمم وشعوب ودول وسياسات وحروب ... ولكننا لا نفحص الأحداث، بقدر ما نفحص حالة القلب.

إننا من خلال الأحداث، ندرس النفس البشرية، فى كل مشاعرها وأحاسيسها وتصرفاتها. ندخل إلى أعماق النفس، وندرس حروبها الروحية، وندرس علاقاتها مع الله ومع الناس ومع ذاتها. ومن كل ذلك نتعلم..

والكتاب المقدس صريح جدا فى كشف النفس البشرية.

ونحن نريد أن نتناول هذه النفوس، لكى نحللها، ونفهمها، ونرى فيها صورتنا نحن، وما ينبغى أن نفعل، ونحن نصلى لكى يعطينا الرب نعمة أثناء هذه التأملات، ويوجهنا إلى الدروس الروحية النافعة لنا، لنعرفها، ونطبقها عمليا...

وفيما ندرس هذه الشخصيات، ندرسها لكى نحيا نحن...

نحيا من خلال حياة هؤلاء، ونستفيد من تجاربهم، ومن خبراتهم، ونستفيد من سقوطهم أيضا ومن قيامهم.

وإن تعرضنا لأخطاء، فنحن لا ندينهم عليها. انهم آباؤنا وأجدادنا ومعلمونا، بل هم أيضا مثلنا العليا التى نقتدى بها. وهم أحباء الله الذين نرجو شفاعتهم وبركتهم..

والأخطاء التى نكشفها، إنما تكشف لنا ضعف طبيعتنا، طبيعتنا نحن بالذات، وليس ضعفا لأولئك القديسين الذين لا نستحق أن نقبل التراب الذى داسوه بأقدامهم الطاهرة...

بركة هؤلاء جميعا، فلتكن معنا، آمين...

http://coptic-treasures.com

«١»
آدم وحواء

أولا: بهاؤهما الأول

ثانيا: ٢٧ خطية وقعا فيها

ثالثا: نتائج هذه الخطايا وعقوباتها.

http://coptic-treasures.com

آدم وحـــواء

يحسن بنا أن نبدأ تأملاتنا فى شخصيات الكتاب بابوينا الاولين،آدم وحواء، ونرى كيف خلقا وكيف كانا، وميزات طبيعتهما الاولى فى عمق بهائها ومجدها، وكيف قادهما الضعف البشرى، وتطور بهما من سقطة الى أخرى، حتى كثرت خطاياهما جدا، وفسدت طبيعتهما البشرية.

بهاؤهما الأول

١ – كانا مخلوقين، غير مولودين، لم يرثا فسادا من طبيعة سابقة:

آدم وحواء، لم يولدا من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل ... لم يأتيا من زرع بشر، ولم يرثا طبعا فاسدا من طبيعه سابقة عليهما، انما خلقهما الله، شيئا جديدا لم يتلوث من قبل، وبالطريقه التى أرادها الرب لهما.

٢ – خلقهما الله على صورته ومثاله. ولا يمكن أن يوجد أعظم من هذا، أن يكون آدم وحواء على شبه الله...

وفى ذلك يسجل سفر التكوين «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ... فخلق الله الانسان على صورته، على صورة الله خلقه. ذكرا وأنثى خلقهم» «تك ١: ٢٦ر٢٧».

وما أكثر تأملات الآباء القديسين وتفسيراتهم، الخاصه بخلق أبوينا الأولين على صورة الله...

* قيل ان الله خلقهما على صورته فى البر والقداسه، فى وضع فائق للطبيعة ... وهكذا كان كلاهما بارين بلا خطية، حينما خلقهما الله متسربلين بالقداسه...

* وقيل على صورته فى الجمال والبهاء والمجد، أى اعطاهما قبسا من بهائه، فكانا فى منتهى الجمال، جسدا ونفسا وروحا...

* وقيل ان الله خلق الانسان على صورته فى الخلود، إذ وهب لهما نفسا خالدة، نفخها فى أنف آدم، نسمة حياة، فصار آدم نفسا حية «تك ٢: ٧»

* وقيل إن الله خلقهما على صورته فى حرية الارادة.

* وقيل إيضا أن الانسان خلق على صورة الله فى التثليث والتوحيد: ذاتا، لها عقل ناطق، ولها روح. والذات والعقل والروح كائن واحد: كالذات الإلهية، لها عقل، ولها

http://coptic-treasures.com

روح، والثلاثة كائن واحد ... انما الله غير محدود فى كل شىء، والانسان محدود...

* وقيل إن الله خلقهما على صورته فى الملك والسلطة. فكانا ملكين على الأرض، لهما سلطة على كل كائناتها «تك ١:٢٨». وكان آدم نائبا لله على الأرض، وممثلا للخليقة الأرضية كلها...

* وقيل إن الله كان يعرف مسبقا بسقوط الانسان، وبأنه سيخلى ذاته ويتجسد لكى يخلصه. فخلق هذا الانسان على الصورة التى كان مزمعا أن يتجسد بها، على شبهه ومثاله...

٣- وكان آدم وحواء يتصفان بالبساطة والبراءة:

ما كانا يعرفان الشر اطلاقا. كانا يعرفان الخير فقط، ولا شىء سوى الخير. لذلك لم يفكرا وقت التجربة أن الحية يمكن أن تخدع وأن تكذب. فعبارات الكذب والخداع لم تكن موجودة فى قاموسهما فى ذلك الحين.

وفى بساطتهما وبراءتهما، ما كانا يعرفان بعضهما من الناحية الجنسية، بل كطفلين ساذجين- ما كانا يفهمان الفروق العضوية فى تركيب جسديهما. وكما ذكر سفر التكوين «وكانا كلاهما عريانين، آدم وامرأته، وهما لا يخجلان» «تك ٢:٢٥».

٤- وقد باركهما الله معا، بنفس البركة، واعطاهما سلطانا على الارض كلها بجميع كائناتها، نفس السلطة لكليهما...

وفى ذلك يذكر سفر التكوين «وقال الله نعمل الانسان كصورتنا، فيتسلطون على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم، وعلى كل الارض، وعلى الدبابات التى تدب على الارض» «تك ١:٢٦». «وباركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الارض، واخضعوها. وتسلطوا على كل سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى كل حيوان يدب على الارض» «تك ١:٢٨»

وهكذا عاش الاثنان، ولهما هيبة وسلطة، على كل الارض ومخلوقاتها. ما كانا يخافان الوحوش أو دبيب الأرض، بل عاشا وسط الاسود والنمور والفهود والحيات والثعابين وما أشبه، فى حياة من الألفة والسلام، لهما سلطان على كل هؤلاء. ترى الوحوش فيهما صورة الله، فتعاملهما بالمهابة اللائقة بهما.

وآدم هو الذى سمى كل الحيوانات وكل ذوات الانفس بأسمائها «وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية، فهو اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء، وجميع حيوانات البرية» «تك ٢:١٩،٢٠».

http://coptic-treasures.com

٥- وكان آدم وحواء اجتماعيين، يتعاونان معا ...

حينما كان آدم وحده فى الجنة، وجد التعاون والألفة بين جميع حيوانات الأرض «وأما لنفسه، فلم يجد معينا نظيره» «تكِ ٢:٢١». وصعد هذا الاشتياق، أو هذا الاحتياج الى الله «فأوقع الرب الاله سباتا على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه، وملأ مكانها لحما. وبنى الرب إلاله الضلع التى أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم» «تك ٢:٢١،٢٢».

وشعر آدم بهذه الرابطة القوية التى تربطه بحواء، وأنها جزء منه، بينهما رابطة دم ولحم وعظم. «فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامى، ولحم من لحمى. هذه تدعى امرأة، لأنها من امرء اخذت» «تـك ٢:٢٣»

٦- ونحن نعجب من هذه المعرفة التى كانت لآدم:

* كيف عرف أن حواء، قد أخذت من لحمه ومن عظامه، بينما كان فى سبات ...؟! هل اخبره الله بما حدث، فى ظل علاقة المحبة بينه وبين الله؟ أم كان هذا اللون من المعرفة، من ضمن مواهبه فى ذلك الوقت، الذى خلق فيه بوضع فائق للطبيعة ...؟!

* كما أننا نعجب بآدم إذ أنه أعطى حواء اسما له دلالة وله عمق، فسماها امرأة، لأنها من امرء اخذت.

وفيما بعد ... بعد الخطية، حينما ولدت امرأته ابنا، أعطاها اسما آخر: «ودعا آدم اسم امرأته حواء، لأنها أم كل حى» «تك ٣:٢٠». إنها حكمة اتصف بها آدم فى اطلاق الاسماء. ولعله استخدم هذه الحكمة ذاتها فى تسمية الحيوانات والطيور وكل ذوات الانفس الحية.

ليت أحد المتخصصين فى علوم اللغات، يبحث مع بعض المتخصصين فى علوم الحيوان، السر الذى يكمن وراء اسماء الحيوانات، والحكمة التى بها اطلق آدم كل اسم على صاحبه ...

* كان آدم أيضا يعمل فى الجنة ويحفظها «تك ٣:١٥». فمن أين أوتى آدم هذه المعرفة بشئون كل النباتات الموجودة فى الجنة، أتراه أيضا لون من الكشف إلالهى، أو كانت معرفة آدم من نوع فائق لمعرفتنا؟!

٧- وقد خلق آدم وحواء بعد أن أعد الله لهما كل شىء

خلقهما فى اليوم السادس، كقمة لمخلوقاته كلها. وخلقهما بعد أن خلق من أجلهما كل شىء، كما فى القداس الغريغورى. من أجلهما أعد السماء لهما سقفا، ومهد لهما الأرض كى يمشيا عليها. رتب لهما قوانين الفلك، ووضع لهما الشمس لضياء النهار،

http://coptic-treasures.com

والقمر لإضاءة الليل. ونظم لهما الطبيعة وأجواءها، وخلق لهما النبات لطعامهما، والحيوانات لخدمتهما. واخيرا خلقهما، ليتمتعا بهذه الطبيعة كلها.

وعندما تنتهى فترة إقامة البشرية على الأرض، ويأتى الرب على السحاب، ليأخذ باقى البشر، ويسكن الانسان فى الأبدية، حينئذ ستزول هذه الأرض وهذه السماء اللتان خلقهما الله، لراحة الانسان ههنا. إذ سيزول غرضهما بانتقال الانسان إلى جوار الله فى اورشليم السمائية.

ما أعظم قيمة هذا الانسان، الذى من أجله خلق الله كل شىء. آدم صورة الله، أعظم كائن على الأرض فى أيامه، نائب الله، المسلط منه على كل الخليقة الأرضية...

٨- وكان آدم وحواء سعيدين، يعيشان فى جنة:

خلق الله جنة جميلة، لكى يحيا فيها هذا الانسان سعيدا «غرس الرب الاله جنة فى عدن شرقا. ووضع هناك آدم الذى جبله» «تك ٢:٨». ويشرح سفر التكوين بعض تفاصيل هذه الجنة، فيقول «وأنبت الرب الإله من الأرض شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، وشجرة الحياة فى وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر. وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة» «تك ٢:٩،١٠».

كان آدم سعيدا هو وحواء داخل الجنة. لم يكن هناك ما ينقصهما، ولم يكن هناك ما يعكر صفوهما. كان كل شىء حولهما جميلا، وعاشا فى اليوم السابع، اليوم الذى قدسه الرب، واتخذه للراحة، له ولهما.

وهذه الطبيعه الجميلة الهادئة النقية التى خلقها الله لآدم وحواء، يقول عنها الكتاب «ورأى الله كل ما عمله، فإذا هو حسن جدا» «تك ١:٣١».

٩- وعاش آدم أيضا فى عشرة الله...

لم تكن سعادة هذا الانسان الأول، من مجرد خلقه فى طبيعة ممتازة، أو من سلطته على هذه الطبيعة، أو من حياته فى جنة جميلة، إنما لعل السبب الأول فى سعادته، انه كان يحيا فى عشرة الله ... الله كان يظهر له، وكان يكلمه، وكان يباركه، وكان يعلمه بنفسه ويقدم له الوصايا النافعة له.

كانت له علاقة مباشرة مع الله، يشرحها سفر التكوين «نفخ فى أنفه نسمة حياة» «وأخذ الرب الاله آدم ووضعه فى جنه عدن» وأحضر «الحيوانات» الى آدم ليرى ماذا

http://coptic-treasures.com

يدعوها» «وباركهم الله وقال لهم: «اثمروا واكثروا واملأوا الأرض» «وأوصى الرب الاله آدم قائلا: من جميع شجر الجنة تأكل أكلا. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها»

١٠- وقد عاش آدم وحواء فى الجنة نباتيين ...

* **إن أكل اللحوم لم يسمح به الله إلا فى أيام نوح، بعد خروجه واسرته من الفلك،** إذ يذكر سفر التكوين إن الله بارك نوحا وبنيه بنفس بركة آدم وحواء، تقريباً، وقال لهم «كل دابة حية تكون لكم طعاماً. كالعشب الأخضر دفعت اليكم الجميع، غير أن لحما بحياته دمه لا تأكلوه» «تك ٩:٣،٤»

أما ما قبل فلك نوح، فلم يكن مصرحاً بغير النبات ... وهذا ما يذكره سفر التكوين:

* لما خلق الله آدم وحواء، سمح لهما بأكل الفاكهة والبقول، أى ثمار الاشجار، وذلك بقوله «إنى قد أعطيتكم كل بقل يبذر بذراً على وجه كل الأرض، وكل شجر فيه ثمر شجر يبذر بذراً ، لكم يكون طعاماً». «ولكل حيوان الأرض، وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية، أعطيت كل عشب أخضر طعاماً، وكان كذلك». «تك ١:٢٩،٣٠»

* **اذن لم يكن الانسان وحده نباتياً فى الجنة، وإنما حتى الحيوانات أيضا بكل انواعها كانت نباتية:** للإنسان الثمار والبقول، وللحيوان العشب الأخضر. ولم يكن هناك افتراس. لا الانسان يأكل الحيوان، ولا الحيوان يأكل الانسان، ولا الحيوان يأكل بعضه بعضاً.

* وبعد السقوط فى الخطية: لما حدث أن الانسان، كالحيوان اشتهى أن يأكل، اعطاه الله الطعام المخصص للحيوان، عشب الأرض. فقال الرب للانسان بعد السقوط «وتأكل عشب الأرض» «تك ٣:١٨»، وكان العشب مخصصاً للحيوان من قبل «تك ١:٣٠».

وبقى الانسان بعد السقوط نباتيا، يأكل ثمار الشجر والبقول والعشب، بعد طرده من الجنة، دون أن يأكل اللحوم، لم يصرح له بها، إلا بعد فلك نوح «تك ٩:٣».

* ومع ذلك كانت الأعمار طويلة جداً، فى تلك الفترة من آدم حتى نوح، كما يشرح الاصحاح الخامس من سفر التكوين:

عاش آدم ٩٣٠ سنة «تك ٥:٥»، وعاش نوح ٩٥٠ سنة «تك ٩:٢٩». وعاش متوشالح ٩٦٩ سنة «تك ٥:٢٧»، وهو صاحب أطول عمر فى كل أجيال البشرية، وكان نباتياً.

http://coptic-treasures.com

* لماذ اذن صرح الله بأكل اللحوم بعد فلك نوح؟

يقول الكتاب «قبل الطوفان مباشرة»: «ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر فى الارض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الانسان فى الارض» «تك ٦:٥،٦». وهكذا أغرق الرب العالم بالطوفان. وأبقى الرب بقية من البشرية. وسمح لها بأكل اللحوم، لأن مستوى البشر لم يكن يحتمل غير هذا...

http://coptic-treasures.com

خطايا عديدة لأبوينا الأولين

كانت طبيعتهما سامية جدا، ولكنهما كانا يتمتعان فى نفس الوقت بحرية الارادة، وبالحرية توجد امكانية السقوط.

والعجيب أن كثيرا من الكتاب يتحدثون عن خطية آدم أو خطية حواء، كما لو كانت خطية واحدة لاغير!! بينما وقع ابوانا فى عديد من الخطايا، نذكر منها هنا ٢٧ خطية، بنوع من التحليل، لكى نتعلم نحن أيضا التدقيق فى محاسبتنا لأنفسنا ... فما هى هذه الخطايا؟

١- العصيان أو المخالفة

وهذه هى الخطية الواضحة للكل. إن الله أمر ابانا آدم قائلا «من جميع شجر الجنة تأكل أكلا. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتا تموت» «تك ٢:١٦،١٧». الخطية واضحة، وقد سمعها آدم بنفسه من فم الله. وكانت تحفظها حواء «تك ٣:٢». ومع ذلك خالفها آدم وخالفتها حواء

ولو لم ينذر الله آدم وحواء من قبل، لقلنا إنها ربما كانت خطية جهل. ولكن من الواضح انها خطية بمعرفة

٢- المعاشرات الرديئة

بدأت سلسلة الخطايا التى وقع فيها آدم وحواء بخطية «المعاشرات الرديئة التى تفسد الاخلاق الجيدة» «١كو ١٥:٣٣». فجلست أمنا حواء مع الحية «وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الاله» «تك ٣:١».

وحتى إن كانت امنا حواء، بنقاوة قلبها وبساطتها، لا تدرك ما فى الحية من خبث، فانه كان يجب عليها أن تتنبه، حينما أخذت الحية تكشف أوراقها، وتقول كلاما عكس ما قاله الله نفسه لهما!!

ولكن امنا القديسة بدلا من أن تتنبه، وقعت فى خطية الانقياد، ووقعت أيضا فى خطية الشك. وقادتها هاتان الخطيتان إلى سقطات اخرى كثيرة

٣- خطية الشك

قالت الحية فى خبث وهى تبذر بذور الشك «أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر

http://coptic-treasures.com

الجنة ؟!»... أحقا ان الله الرحيم الطيب يمنعكما عن الأكل من كل الشجر؟ وماذا يضيره لو جعلكما تأكلان؟ أى شر فى هذا؟!

فلما أجابت المرأة حسنا، أخذت الحية تتعمق فى القاء بذور الشك، فقالت «كلا، لن تموتا، بل الله عالم انكما يوم تأكلان تتفتح أعينكما، وتكونان مثل الله عارفين الخير والشر».. اذن الله خائف من أن تصيرا مثله، لذلك يمنعكما ... ليس حبا منه لكما، أو حرصا عليكما، انما خشية من المنافسة...

هذا هو الشك الذى ألقته الحية فى نفس حواء:

الشك فى صدق كلام الله، والشك فى حب الله للبشر، بل الشك أيضا فى انذار الله لهما بالموت. فهما — حسب كلام الحية — لن يموتا، بل ستتحسن احوالهما...

واستسلمت حواء إلى هذا الشك، فسلمها إلى خطيئة اخرى:

٤- خطية الانقياد

انقادت — وهى صورة الله ومثاله — الى الحية ومشورتها. فبدلا من أن تنتهر الحية على التشكيك فى كلام الله، اطاعتها. وبهذا فقدت شخصيتها أمام الحية، بينما كان الله قد اعطاها سلطانا على جميع حيوانات الارض وعلى كل ما يدب على الارض، فكانت الحية بذلك تحت سلطانها، وكانت تملك أن تخضعها، حسب قول الرب عن هذه الكائنات «واخضعوها» «تك ١:٢٨». فبدلا من إخضاعها، خضعت لها.

ونفس هذا الانقياد الخاطىء، الذى وقعت فيه حواء، حدث بالنسبة الى ابينا آدم من جهة امرأته حواء، بينما الرجل رأس المرأة. وكان يجب على آدم ان يقود حواء الى الخير، ويرفض ان يأكل الثمرة المحرمة من يدها، ولكنه انقاد هو ايضا وأطاع. ووقع فى نفس ضعف الشخصية الذى وقعت فيه حواء.

لذلك فإن الله لم يقبل من حواء عبارة «الحية اغرتنى». ولم يقبل من آدم عبارة «المرأة اعطتنى».

كان يجب على كل منهما أن يكون قوى الشخصية، ولا يقبل من غيره أية نصيحة أو أى توجيه ضد وصية الله الواضحة.

وكان انقياد حواء للحية، يحمل داخله خطية اخرى هى:

http://coptic-treasures.com

٥- ضعف الإيمان

انقياد حواء للحية، معناه أنها قبلت كلامها أكثر من كلام الله، أو قل إنها صدقت الحية وكذبت الله. الله يقول عن ثمر الشجرة «لا تأكلا منه ولا تمساه، لئلا تموتا» «تك ٣:٣». والحية تقول «كلا، لن تموتا». والمرأة تقبل كلام الحية، وتميل إليه بقلبها، وتترك كلام الله، لا تخشاه، ولا يتعبها انذاره...

إذن فهذا ضعف إيمان بالله وبكلمته وبانذاره. بل هو عدم إيمان بصدق الله...

وضعف الايمان هذا، قادها إلى خطية اخرى وهى:

٦- الاستهانة وعدم مخافة الله

بدأت تستهين بحكم الله وبتهديده وعقوبته، ولم تخف اطلاقا من أن تمد يدها وتأخذ، كما لو كانت عبارة «موتا تموتا»، لا تهز لها جفن، ولا تحرك ضميرها أو قلبها..!

على أن إغراء الحية وحديثها، قاد المرأة إلى خطية اخرى، ونست قلبها الطاهر، وهى خطية الشهوة.

٧- خطية الشهوة

نظرت المرأة الى الشجرة، فاذا هى «جيدة للأكل، وبهجة للعيون، وإذا الشجرة شهية للنظر»... فاشتهتها...

كانت شجرة معرفة الخير والشر فى وسط الجنة، وربما كانت حواء تمر عليها كل يوم وتراها. وكانت نظرتها إليها بسيطة، لا تحمل شهوة...

أما الآن فإن النظرة قد تغيرت، لم تعد بسيطة كما كانت أمس وقبلا من أمس، ذلك لان القلب قد تغير...

القلب قد دخلته شهوة، فأصبحت نظرته إلى الشجرة مشبعة بالشهوة. وبالشهوة صارت الشجرة شيئا آخر مشتهى، بل شيئا مفضلا على الكل، حتى على وصية الله. صارت الشجرة «جيدة للأكل، وبهجة للعيون، وشهية للنظر»...

لماذا؟ لأن خطية أخرى قد دخلت القلب ... فما هى؟

٨- خطية الكبرياء

«يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما وتصيران مثل الله...». هنا الاغراء الجبار

http://coptic-treasures.com

«تصيران مثل الله» أو تصيران الهين..! إن كان الأمر هكذا، فلماذا نرضى ونكتفى بالمستوى البشرى؟! ولماذا نأخذ من الله موقف الطاعة، بدلا من موقف المساواة؟! وعصفت شهوة الألوهية بهذه الإنسانة المسكينة فدخلتها الكبرياء.

وأستطاعت هذه الكبرياء أن تحطمها، كما حطمت الشيطان من قبل **لأنه أراد أن يوقع الانسان فى نفس السقطة التى وقع فيها** ... وماذا كانت سقطته؟ يحكيها سفر أشعياء النبى فيقول:

«كيف قطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم؟ وأنت قلت فى قلبك: اصعد إلى السموات، أرفع كرسى فوق كواكب الله ... أصعد فوق مرتفعات السحاب، أصير مثل العلى. لكنك انحدرت الى الهاوية، الى أسافل الجب» «اش ١٤:١٢-١٥»

إن عبارة «أصير مثل العلى» التى قالها فى قلبه، هى نفس عبارة «تصيران مثل الله» التى أغرى بها حواء...

إن الكبرياء هى التى أسقطت الشيطان، وهى التى أسقطت الانسان الأول. وكما قال أحد القديسين: إن حواء اشتهت مجد الألوهية، ففقدت ما كان لها من مجد البشرية.

على أن هذه السقطة، وهذه الكبرياء، كانت تحمل فى داخلها شهوة أخرى، أو خطية أخرى، وهى.

٩- المعرفة المخربة

«تصيران مثل الله، عارفين الخير والشر» «تنفتح أعينكما» ... لقد قدم الشيطان للانسان هذا الاغراء، إغراء المعرفة ... إلى متى تظل مقفل العينين لا تعرف؟ ليتك تأكل لكى تنفتح عيناك المغمضتان، وتذوق الدنيا وتعرفها...

إلى متى يغلق الله عليكما فى هذه البساطة أو السذاجة، التى يسمونها النقاوة أو البراءة!! فتظلان هكذا لا تدريان ولا تفهمان الجمال الموجود فى الدنيا، واللذة الموجودة فى الثمرة؟! لماذا يحرمكما الله من هذه المعرفة؟!

أية معرفة يقصدها الشيطان؟ لقد وهبهما الله فضل معرفته، وجعلهما يعرفان الخير والبر ويذوقان ما فى هذه المعرفة من لذة. يجيب الشيطان إنهما حرما من معرفة الخير والشر».

وهنا تبدو الخدعة الكبرى التى انطلت على حواء ... فما هى؟

إنهما يعرفان الخير فقط. والشيطان يريد لهما الآن «معرفة الخير والشر»، أى أن تضاف إلى معرفتهما النقية، معرفة الشر...!

يا للخدعة الخبيثة، التى قال عنها الحكيم «الذى يزداد علما، يزداد غما»، يقصد المعارف التى تشوه نقاوة الانسان، أو تربك سلامه فكره...

http://coptic-treasures.com

وأكل الانسان من شجرة المعرفة، فصار جاهلا ... لأنه أخذ معرفة الشر إلى جوار معرفة الخير، وماذا أصابه أيضا؟

١٠- مشكلة الثنائية وفقدان البساطة

ومن ذلك اليوم، والانسان يعيش معذبا، يسبح فى بحر العالم، يحيطه شاطئان: الخير والشر، الحلال والحرام، الصالح والطالح، ما ينبغى وما لا ينبغى.

وللأسف، فإن معرفة الشر عند كثيرين، أرتبطت بشهوة الشر، أو على الأقل ارتبطت بالصراع بين الخير والشر. وعاش الانسان حياته فى هذا الصراع، وتشوهت أفكاره بمعرفة الشر، وجلبت له هذه المعرفة الظنون والأفكار، ووضعت فى عقله الواعى أو عقله الباطن صورا متعبة، تظهر أحيانا كأحلام، وأحيانا كشكوك وظنون، وأحيانا كإدانة للآخرين، أو كاشمئزاز من وضع معين، أو كخوف من سقوط ... أو أرتياب فى نقاوة.

ولما أكلت حواء من شجرة المعرفة هذه، بدأت ترى آدم رجلا يختلف عن أنوثتها. وبدأ آدم يراها أنثى تختلف عن رجولته. وبدأ الجنس يفتح أبوابه.

وكان أول باب هو الخجل. وأحس أدم وحواء أنهما عريانان، وفكرا كيف يستران عريهما ... وفقد الاثنان بساطتهما الأولى...

ما كان أغناهما عن هذا كله، لو أنهما لم يطلبا هذه المعرفة، أو على الأقل طلبا المعرفة من الله وحده. ولكنهما وقعا فى خطية أخرى وهى:

١١- طلب المعرفة من غير الله

كان الله هو المعلم الأول والوحيد للإنسان، يعطيه من المعرفة ما يفيده وما يبقى على نقاوته.

ثم بدأ الانسان يتخذ له مرشدا غير الله، يشير عليه بما يفعل، ويعطيه معرفة اخرى. وكان هذا المرشد للأسف، هو الشيطان الذى دخل الحية، وأرشد الإنسان إلى ما فيه هلاكه...

وشهوة المعرفة، بعيدة عن الله، ومن غير الله، ملأت الانسان بمعارف ضيعته. ومازال الانسان يسعى إلى المعرفة منذ أكل من الشجرة. وفى كل يوم تنفتح عيناه بالأكثر ... وتجمع له الحواس أحيانا ما يضره...

ويستمر فى ثنائية المعرفة، التى تشمل الخير والشر، إلى أن يهب له الله فى الابدية أكليل البر، فيتقيأ ما أكله من معرفة الخير والشر، ويعود لا يعرف غير الخير وحده،

http://coptic-treasures.com

وينسى فى النعيم الأبدى ما كان قد عرفه فى العالم من شر. يمحو الله من ذاكرته ومن علمه ومعرفته كل معرفه الشر، فى الانسان الجديد الذى يقوم من الأموات فى نقاوة لا تعرف شرا.

ويصير الجميع متعلمين من الله «يو ٦:٤٥». ولا يعود الشيطان يعلم ويرشد ويلقى أفكاره فى عقول الناس... بل فى الأبدية سنأخذ معرفة بديلة، هى معرفة الله الذى يكشف لنا ذاته. وكما قال ربنا يسوع المسيح لله الآب «هذه هى الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحده، ويسوع المسيح الذى أرسلته» «يو ١٧:٣».

حينئذ يكون الله هو مصدر معرفتنا، وكفه معرفتنا، وتبطل مشورة الشيطان الذى أسقط أمنا حواء فى القديم، فأكلت...

وظهرت فى اكلها خطيئة اخرى وهى:

١٢- حفظ الوصية عقلا لا عملا

كانت حواء تحفظ الوصية حفظا عقليا! لذلك عندما سألتها الحية «أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟»، صححت لها حواء منطوق الآية، وذكرت تفاصيلها، فقالت للحية «من ثمر شجر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة، فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا». أنه حفظ دقيق لم يكتف بالمنع عن الاكل، بل عن اللمس أيضا..

والعجيب أنها فى نفس الوقت الذى ذكرت فيه الوصية بهذه الدقة العجيبة، عادت وكسرت الوصية، ومدت يدها وقطفت وأكلت..! لقد حفظت الوصية عقلا لا عملا...

أنها تذكرنى بالشاب الغنى الذى كان يحفظ الوصايا، وقال عنها للسيد الرب «هذه حفظتها منذ حداثتى». وفى نفس المناسبة مضى حزينا، لأنه كان يعبد إلها آخر هو المال، بينما تقول الوصية الأولى «لا تكن لك آلهة أخرى أمامى» «خر ٢٠:٣».

وفى الأكل من الشجرة، وقعت حواء، كما وقع آدم أيضا فى خطية أخرى وهى:

١٣- الانحدار الى المستوى الجسدانى

الأكل، وشهوة الأكل، والنظر إلى الشجرة على أنها «جيدة للأكل»... كلها أمور جسدانية انحدر إليها آدم وحواء، بأسباب نفسانية، سقطا بها عن المستوى الروحى.

http://coptic-treasures.com

ولذلك أعتبر البعض أن الوصية الأولى التى اعطيت للإنسان، كانت وصية صوم، تشبه صومنا فى هذه الأيام، تأكل من الكل ماعدا نوعا واحداً هو الأطعمة الحيوانية. كذلك أعطى لآدم وحواء أن يأكلا من الكل ماعدا نوعا واحداً هو ثمر هذه الشجرة.

ولكن آدم وحواء كسرا هذا الصوم، وأكلا من هذا الصنف المحرم. وبالأكل سقطا من المستوى الروحى إلى المستوى الجسدى.

وبهذا السقوط، استمرت معهما حروب الجسد فيما بعد. حتى أن بعض العقوبات التى فرضها الله عليهما، كانت تحمل اشارة إلى هذا المستوى الجسدانى الذى هبطا اليه:

قال للمرأة «تكثيرا أكثر اتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولادا».

وقال لآدم «لأنك سمعت لقول امرأتك، وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ... بعرق جبينك تأكل خبزا ... وتأكل عشب الحقل» «تك ٣:١٦-١٩»

هذه عقوبة الأكل. على أنه فى الأكل من الشجرة كانت توجد خطية أخرى:

١٤- عدم القناعة

الله أعطى أبوينا الاولين أن يأكلا من كل شجر الجنة، ماعدا واحدة. ولاشك أنه كانت توجد أثمار كثيرة جدا فى الجنة، بل كان فيها كل نوع ثمر ... ولكن هذا كله لم يقتنع به آدم وحواء ولم يكفهما، بل أرادا الأكل من هذا النوع الواحد الناقص. وهذا يدل على عدم القناعة.

ومازال مرض عدم القناعة موروثا حتى الآن «العين لا تشبع من النظر، والاذن لا تشبع من السمع» «وكل الأنهار تجرى إلى البحر، والبحر ليس بملآن».

على أن حواء فى أكلها من الثمرة المحرمة، لم تقع فقط فى كل هذه الخطايا، إنما أضافت إليها خطية اخرى وهى:

١٥- إعثار الآخرين

لم يقتصر أمرها على كسر الوصية والأكل من الشجرة، وإنما يقول الكتاب إنها «أكلت، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل» «تك ٣:٦». وهكذا جرت غيرها إلى الخطأ، وقادته إلى كسر الوصية، وكانت سببا فى ضياعه، ووضعت أول بذرة للعثرة، ولإعثار الآخرين ...

http://coptic-treasures.com

والعجيب أن البعض يظنون أن خطية آدم وحواء هى مجرد الأكل من الشجرة! فعلى الرغم من كل الخطايا التى ذكرناها، توجد خطايا أخرى كثيرة ارتكبها أبوانا بعد الأكل من الشجرة.

فما هى هذه الخطايا؟

١٦- تغطية الخطية بأوراق التين

لما أكلا «انفتحت أعينهما، وعلما أنهما عريانان»، إذ فقدا نقاوتهما، وفقدا بساطتهما الأولى. فبدلا من معالجة الخطية والتخلص منها، والرجوع إلى النقاوة الأولى، قاما بتغطية الخطية بأوراق التين. وهكذا تغطى آدم وحواء ولكن بقى القلب من الداخل غير سليم، والشعور كما هو ...

وأصبحت أوراق التين ترمز إلى تغطية الخطية، دون التخلص منها.

ولهذا نرى أن الرب لم يوافق على فكرة أوراق التين. «وصنع الرب الاله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما» «تك ٣:٢١».

ومن أين أتت اقمصة الجلد؟ لعلها أتت من ذبيحة، سفك دمها لأجلهما، وتغطيا بجلدها. وهنا بدا الرمز العميق:

الخطية تعرى الانسان وتخجله، والذبيحة تغطيه وتستره، بل وتطهره...

انه معنى ربما يكونان قد عرفاه بسيطا فى بادىء الأمر، وأتى التعمق فيه على مر الزمن فيما بعد.

بعد الخطية، شعر آدم وحواء بالعرى، وبالخزى، فاستترا بأوراق التين ... وماذا بعد؟ لقد وقعا فى خطية أخرى كبيرة وهى:

١٧- الهروب من الله

«سمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة، عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة» «تك ٣:٨»

أصبح هناك تباعد بينهما وبين الله ... وجدت هوة فاصلة ... لم يعودا يفرحان بالوجود فى حضرة الرب. فحالما سمعا صوته مقبلا، هربا من وجهه وأختفيا...

وصار الهروب من الله خطية موروثة فى نسل آدم وحواء. فما أن يقع الانسان فى

http://coptic-treasures.com

الخطية، حتى يبدأ فى سلسلة من الهروب: يهرب من الصلاة، لأنه يخجل من الكلام مع الله وهو فى الخطية! ويهرب من الكنيسة، ومن أب الاعتراف، ومن الاجتماعات الروحية، ومن الأصدقاء الروحيين، إلى أن يقطع كل صلة له بالله...!

ولعل الهروب من الله، بالنسبة إلى آدم وحواء، قد دفعت إليه خطية اخرى وهى الخوف

١٨- الخوف

والخوف إن لم يكن خطية فى حد ذاته، فعلى الأقل هو انحدار فى المستوى، إنحدار من مستوى الحب الالهى الذى كانا يعيشان فيه. ويقول القديس يوحنا الرسول «لا خوف فى المحبة، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج. لأن الخوف له عذاب. وأما من خاف، فلم يتكمل فى المحبة» «١يو ٤:١٨».

وواضح من إجابة أبينا آدم أنه خاف. ولا نقصد المخافة التى تحمل مهابة الله، وانما الخوف بمعناه الحرفى، الذى يدعو إلى الهرب والاختفاء. وفى هذا يقول للرب «سمعت صوتك فى الجنة فخشيت، لأنى عريان فاختبأت» «تك ٣:١٠».

وبالنسبة إلى آدم وحواء، لا نقول فقط إنهما نزلا من مستوى الحب، بل عملا أعمالا ضد محبة الله.

١٩- الخروج من محبة الله

* لاشك أن كسر الوصية كان عملا ضد محبة الله. لأن الرب يقول «الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى» «يو ١٤:٢١». ويقول القديس يوحنا الحبيب «من قال قد عرفته، وهو لا يحفظ وصاياه، فهو كاذب وليس الحق فيه. وأما من حفظ كلمته، فحقا فى هذا قد تكملت محبة الله» «١يو ٢:٤». اذن كسر الوصية ضد المحبة.

* ورغبة آدم وحواء فى أن يصيرا «مثل الله» حسب اغراء الحية، كان عملا آخر ضد محبتهما لله.

* وتصديق كلام الحية، عكس كلام الله، كان أيضا عملا ثالثا ضد محبة أبوينا الأولين لله.

* وفى مناقشتهما مع الله، كانت الطريقة لا تتفق والمحبة.

* وهروبهما من وجه الله، واختفاؤهما، كان عملا رابعاً منهما ضد محبة الله

http://coptic-treasures.com

كذلك فى خوف أبوينا وأختبائهما، وقعا فى خطية اخرى، وهى عدم السعى للصلح مع الله.

٢٠- عدم السعى إلى الخلاص

انهما انسانان قد كسرا وصية الله، وأصبح محكوما عليهما بالموت. فماذا فعلا للتخلص من حكم الموت هذا؟ هل سعيا إلى الخلاص؟ هل بذلا جهدهما لكى يصطلحا مع الله، ولكى يعودا إلى علاقة الحب الاولى؟ كلا.

لقد شل الخوف تفكيرهما، فلم يقوما بأى عمل من أجل خلاص نفسيهما الهالكتين، انما اكتفيا بالاختفاء من وجه الله.

وفى الاختفاء من وجه الله فى وسط الشجرة وقعا فى خطية اخرى وهى الجهل بالله وقدرته...

٢١- الجهل بالله وقدرته

إلى اين يهرب هذان المسكينان من وجه الرب؟ وأين يختفيان؟ لقد كان حفيدهما داود أكثر معرفة بالله حينما قال

«أين أذهب من روحك؟ ومن وجهك أين أهرب؟ إن صعدت إلى السموات فأنت هناك. وإن فرشت فى الهاوية فها أنت...» «مز ١٣٩: ٧،٨»... فما معنى الاختباء وسط الشجر اذن؟!

هل الشجر يخفيهما عن عين الله الفاحصة الخفيات والظاهرات؟ أم أنهما جهلا قدرة الله على كل شىء...

حقا إن الانسان لما أكل من شجرة المعرفة صار جاهلا، لقد وعده الشيطان وعدا زائفا لم يبر به...

وفى المناقشة بين الله وأبوينا الأولين، نرى فى أجابتهما عددا كبيرا من الأخطاء، منها

٢٢- عدم إدانة النفس

إن كان هذا الانسان قد أكل من شجرة المعرفة، وعرف الخير والشر، فعلى الأقل أصبح يعرف أنه قد أخطأ.

ولكن كلمة «أخطأت» لم يقلها أدم اطلاقا، ولم تقلها حواء.

لم يعترف احد منهما بهذه الخطايا التى ذكرناها، ولا بشىء منها. لم يقم احد منهما

http://coptic-treasures.com

بإدانة نفسه، ولم تكن لأى منهما حكمة القديس مقاريوس الكبير الذى قال «أحكم يا أخى على نفسك، قبل أن يحكموا عليك» ...

وياليتهما لم يدينا نفسيهما وصمتا، بل انهما وقعا فى خطية أصعب، وهى محاولة تبرير النفس ...

٢٣- محاولة تبرير النفس

كل منهما حاول أن يبرر نفسه. حاول أن يوجد لنفسه عذرا أو أعذارا يغطى به خطيته، أو يقلل من الجرم الذى وقع فيه. ولم يقبل الله شيئا من تبريراتهما وأعذارهما، لأن الخطية واضحه.

أمام الله يستد كل فم. وإن تكلم الانسان، فإنما ليعترف ويدين نفسه ويطلب الرحمة، وليس غير. أما محاولة تبرير النفس، فهى نوع من المكابرة والكبرياء.

وفى تبرير كل من آدم وحواء لنفسه، وقع فى خطية أخرى وهى القاء التبعة على الآخرين.

٢٤- القاء التبعة على الآخرين

حواء، تلقى التبعة فتقول «الحية غرتنى فأكلت». وآدم يلقى التبعة على حواء «المرأة أعطتنى فأكلت» ...

ولا يلقى أحد منهما بالتبعة على نفسه ...

ولم يكن إلقاء التبعة على الآخرين عذرا مقبولا: فآدم كان يستطيع أن يرفض الأكل، ولا يسمع لحواء، بل كان يستطيع أن يوبخها، بل أكثر من هذا كان يمكنه أن ينصحها ويمنعها قبل الوقوع فى الخطية.

أما أن تقدم له من الثمرة فيأكل دون تفكير، دون امتناع، دون تذكر للوصية، دون تذكر للعقوبة، فهذا أمر لا يقبله أحد.

وحواء بالمثل، كانت تستطيع أن ترفض إغراء الحية ...

وحينما ألقى آدم بالتبعة على حواء، إنما وقع ضمنا فى خطية أخرى، تخدش المحبة التى بينهما.

٢٥- ضد محبة القريب

كما كسر آدم محبته لله، كسر أيضا محبته للقريب. والقريب الوحيد هنا كان حواء. أتهمها أمام الله، وحملها تبعة سقوطه فى الخطية.

وهكذا القى أول بذرة للخلافات الزوجية. ونشكر الله أن حواء لم ترد على آدم، ولم تدخل معه فى مناقشة، بل لزمت الصمت، ومرت المشكلة من جهتها بسلام.

على أن اتهام آدم لحواء، كان يحمل خطية أخرى:

http://coptic-treasures.com

٢٦- الاختفاء وراء امرأة

ما كان يليق بأبينا آدم- الرجل الأول فى البشرية أن يختفى وراء امرأة لكى ينجو! يقدمها للاتهام، ويحملها المسئولية، لكى يتبرر هو!

الأمر المثالى، أن يتحمل أخطاءها، وينسبها لنفسه، كمسئول، وينجيها من العقوبة، ويتصدر الموقف ويتركها تختفى وراءه. يحمل خطاياها، كما حمل المسيح خطايا عروسه الكنيسة ... لكن آدم فعل العكس.

٢٢

لا أريد أن أعلق على الموقف بأكثر من هذا...

٢٧- عدم اللياقة فى الحديث

وفى دفاع آدم عن نفسه بإلقاء التبعة على المرأة، فقد اللياقة اللازمة فى التحدث مع الله نفسه...!

فلم يكتف بقوله «المرأة أعطتنى فأكلت» وإنما قال لله: «المرأة التى جعلتها معى، هى أعطتنى»

وكأنه بهذا يشرك الله فى المسئولية، أو يجعل الله صاحب السبب فى سقوطه، لأنه أعطاه المرأة التى أعطته الثمرة...! وكان تعبيرا غير لائق من جهة ادب الحديث مع الله. ولم يرد الله عليه...

من هذه السقطات التى وقع فيها أبوانا الاولأن نستنتج:

* أن الخطايا ليست عواقر، وأنها تلد خطايا أخرى... ويكفى أن يجر الانسان أول الخيط، لكى ينساب كله، ويجد أن خطية تقوده إلى اخرى ... إلى غير انتهاء...

*** كذلك نستنتج أنه يلزمنا التدقيق فى محاسبتنا لأنفسنا وفى اعترافاتنا...**

فربما نظن أننا اقترفنا شيئا بسيطا، بينما هذا الشىء يحوى العديد من الخطايا، التى ربما تخفى عن معرفتنا، ولكننا بقليل من التحليل ندركها...

وها قد رأينا كيف سقط أبوانا آدم وحواء، وكيف بدأ الفساد ينخر فى الطبيعة البشرية على مدى العصور، حتى أتلفها تماما.

بقى أن نتأمل نتائج السقطة الأولى للبشرية:

http://coptic-treasures.com

نتائج هذه الخطايا وعقوباتها

أ- اللعنة

*** اللعنة لم تصب آدم وحواء لسببين:**

أولا: لأن الله كان قد باركهما قبلا «تك ١:٢٨» وهبات الله بلا ندامه «رو ١١:٩»، لا يرجع فيها مهما حدث. إنها لا تتوقف على أمانتنا، بقدر ما تتوقف على جوده هو وكرمه ...

ثانياً: لأنه لو لعن آدم وحواء، لكانت اللعنة قد أصابت الجنس البشرى كله، الموجود فى صلبهما، كما لعن فيما بعد كنعان وكل نسله، وقايين وكل نسله ...

ولا يمكن أن يلعن الجنس البشرى كله، ومنه سيأتى أنبياء وأبرار يباركهم الرب ويكونون بركة ... بل من نسل آدم سيأتى السيد المسيح — حسب الجسد — الذى سيسحق رأس الحية، وبه «تتبارك جميع قبائل الأرض» «تك ٢٢:١٨».

*** ولكن اللعنة أصابت الحية التى أغرت حواء بأكل الثمرة. وكذلك أصابت اللعنة الأرض التى تخرج ثمرا للأكل:**

أ — فقال الله للحية «ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين، وترابا تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك، وانت تسحقين عقبه» «تك ٣:١٤،١٥»

ونلاحظ أن لعنة الحية، كانت تحمل عقوبة ضمنية للإنسان

أصبحت هناك عداوة بينه وبين الحية، ولم توجد من قبل أية عداوة وبين أحد من الخليقة كلها. كما أن سلطانه على الحيوان قد اهتز، فصارت الحية تستطيع أن تسحق عقبه، وتؤذيه! وهو الذى كان ملكا مسلطا على كل أنواع الخليقة. وهكذا ضاع جزء من هيبته ومن سلطته ...

على أن سلطان الحية قد أهتز عندما أعطانا السيد المسيح سلطانا أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو. وانتهى حينما سحق المسيح رأس الحية ... وعبارة «وترابا تأكلين كل ايام حياتك»، فيها تعريض بالانسان الذى قال له الرب فى نفس المناسبة «أنت تراب والى التراب تعود» «تك ٣:١٩،١٤».

الانسان البار، هو صورة الله ومثاله. أما الإنسان الخاطىء فهو تراب. وكتراب يصير

http://coptic-treasures.com

طعاما للحية، لأنها تأكل ترابا كل أيام حياتها ... هذا هو المعنى الرمزى كما تأمله القديس اوغسطينوس...

وفى داخل هذه العقوبة التى أوقعها الله على الحية، وضمنا على الانسان، كان يوجد الوعد بالخلاص...

وعد بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية. وهذه كانت أول نبوءة عن مجىء السيد المسيح لخلاصنا.

ويظهر لنا هذا الوعد حنو الله على الخطاة، ويزيده عمقا أنه وعد بالخلاص، وعد به الله فيما هو يعاقب ويقتص من الخطية. حقا إن عدله مملوء رحمة، وأنه رحيم فى عدله، وصفاته لا تنفصل عن بعضها البعض...

إن الله لم يلعن الانسان، ولكنه لعن الحية التى أغوت الانسان، وكانت فى لعنتها، عقوبة ضمنية للانسان. كذلك لعن الله الارض التى يعيش عليها الانسان.

*** وفى اللعنة التى أصابت الأرض، كانت توجد أيضا عقوبة ضمنية موقعة على الانسان نفسه:**

كانت لعنة الارض ضمن العقوبة التى أوقعها الله على الانسان، إذ قال له «ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكا وحسكا تنبت لك، حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها..» «تك ٣:١٧-١٩»

بهذه اللعنة بدأت الأرض تتمرد على الانسان، كما أصبحت الحيوانات تتمرد عليه، ممثلة فى الحية، وهكذا فقد الانسان هيبته، فيما كانت تعده الحية بالالوهية!!

أول تمرد للأرض، يكمن فى عبارة «بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك». الأرض المباركة، لا يتعب فيها الانسان. أما الارض الملعونة فتتعبه. كان آدم قبل الخطية يعمل فى الجنة، ولكنه كان عملا مريحا، ولم يذكر الكتاب مطلقا إنه كان يتعب فى عمله، أو أنه كان يتعب ليحصل من الأرض على أكله...

هذه اللعنة نجدها واضحة فى قول الرب لقايين، أول انسان لعنه الله «متى عملت الأرض، لا تعود تعطيك قوتها» «تك ٤:١٢».

وتمرد الارض يظهر أيضا فى عبارة «شوكا وحسكا تنبت لك»... لأول مرة نسمع عن الشوك والحسك، إذ لم يرد لهما ذكر من قبل فى نباتات الارض، حينما نظر الله الى كل ما عمله فاذا هو حسن جدا ... إن الارض العطشانة، المحرومة من بركة الله

http://coptic-treasures.com

وخيره، يمكن أن تنتج شوكا وحسكا. وهى تحرم من بركة الله وخيره، بسبب خطية الانسان. لذلك قال له الله «ملعونة الارض بسببك»

إن الانسان البار، به تتبارك الارض، والانسان الخاطىء بسببه تلعن الارض، كما ورد فى سفر التثنية «٢٨».

يقول الرب لمن يحفظ وصاياه «مباركا تكون فى المدينة ومباركا تكون فى الحقل. ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك...» «تث ٢٨:٣،٤». وبعكس ذلك يقول الرب لمن لا يحفظ وصاياه «ملعونا تكون فى المدينة، وملعونا تكون فى الحقل ... ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك» «تث ٢٨:١٦،١٨».

لما لعنت الارض، قل خيرها، وأصبحت تنتج شوكا وحسكا.

وجاء المسيح الذى حمل خطايانا على الصليب، فحمل أيضا على جبينه الشوك والحسك الذى أنتجتهما خطية الانسان.

قلنا إنه كانت من نتائج الخطية اللعنه. وماذا أيضا؟

٢- الموت

«يوم تأكل منها موتا تموت» «تك ٢:١٧».

كان الموت هو العقوبة الاساسية للخطية.

والكل قد خضع له. مات آدم وحواء، ومات كل نسلهما، وسيموت نسل الذى يولد فيما بعد. ويظل الموت إلى أن ينتهى هذا العالم.

ويقول الكتاب إن «آخر عدو يبطل هو الموت» «١كو ١٥:٢٦». يحدث هذا فى نهاية العالم، حينما تتغير طبيعتنا فى القيامة العامة ونلبس الحياة، أو كما يقول الرسول «هذا المائت يلبس عدم موت» «١كو ١٥:٥٣». عندئذ فقط نقول له «أين شوكتك يا موت؟!»... أما قبل هذه القيامة، فتظل شوكة الموت فى أجسادنا جميعا ... نتيجة لخطيئة آدم وحواء...

*** ولكن لم يكن ممكنا أن يموت أبوانا فى التو واللحظة...**

وإلا تكون البشرية كلها قد انتهت وزالت، ويكون الشيطان قد انتصر فى المعركة انتصارا ساحقا، ولا يكون هناك خلاص، الخلاص الذى أعده الرب لآدم وبنيه...

http://coptic-treasures.com

لذلك تأجل هذا الموت إلى حين، ريثما تلد حواء بنين وتربيهم. لأنه فيما بعد سيأتى من نسل المرأة من يسحق رأس الحية، ويطلب ويخلص ما قد هلك.

*** ومع تأجيل هذا الموت الجسدى، كانت هناك أنواع اخرى من الموت، تم بعضها فى التو واللحظة:**

هناك الموت الروحى، وكما قال القديس أوغسطينوس «موت الجسد هو انفصال الروح عن الجسد. أما موت الروح، فهو إنفصال الروح عن الله»...

ولهذا أعتبر الكتاب أن الخطية موت، فقال الآب عن ابنه الضال «ابنى هذا كان ميتا فعاش» «لو ١٥:٢٤». وقال الرب لملاك كنيسة ساردس «إن لك إسما إنك حى، وأنت ميت» «رؤ ٣:١». فالخطية موت روحى، لأنها تفصل الإنسان عن الله، لأنه لا شركة للظلمة مع النور...

*** وآدم وحواء قد ماتا هذا الموت الروحى يوم أكلا من الشجرة، وماتا أيضا موتا آخر أدبيا:**

فى هذا الموت الأدبى، ضاعت كرامة هذا الإنسان الأول، وفقد الحالة الفائقة للطبيعة التى خلق عليها، كما سنشرح فى النقاط المقبلة ... وأكبر تعبير على هذا الموت الأدبى، أن الله طرده من الجنة. وعبارة «طرد» تعنى كثيرا من جهة الموتين الأدبى والروحى. على أنه من جهة هذين الموتين، ظل الله يعمل عملية إقامة من الأموات بالنسبة إلى آدم وبنيه، لكى يرجعهم إلى رتبهم الأولى، ولكى تتم مصالحة بينهم وبين الله. ولكن الأمر كان يتوقف على مدى الاستجابة الفردية لعمل النعمة فى كل إنسان على حدة...

*** بقى الموت الأبدى، وهو أخطر ما فى حكم الموت: وهو الذى خلصنا منه المسيح بالفداء، حين مات عنا..**

ولكن آدم وحواء وبنوهما جميعا، ظلوا تحت حكم هذا الموت فى كل العصور السابقة للفداء. وكان كل الذين يموتون، يذهبون إلى الجحيم، والمؤمنون منهم، الراقدون على رجاء، يرتلون مع داود «لأنك لا تترك نفسى فى الجحيم، ولا تدع قدوسك يرى فسادا» «مز ١٥:١٠».

ولأن الخطية حرمت الانسان من الحياة، وأوقعته فى الموت، لذلك رأينا أمرا خطيرا قد صدر من الله «وأقام شرقى جنة عدن الكاروبيم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة» «تك ٣:٢٤».

http://coptic-treasures.com

٣- فقدان الصورة الالهية

فى حالة البر الأولى، كان آدم على صورة الله، ومثاله، كما قال الله «نخلق الانسان كشبهنا» . أما فى حالة السقوط، فقد فقد هذه الصورة الالهية .

وفساد طبيعة البشرية، الذى سنتحدث عنه فى النقطة التالية، لم يعد يتفق مع الصورة الالهية التى كانت له يوم خلق .

ولهذا نجد الله يخاطبه بلغة اخرى تتفق وصورته فى الخطية، فيقول له «لأنك تراب، وإلى تراب تعود» ...

كان صورة الله، فأصبح ترابا .

ننتقل إذن الى النقطة الرابعة من نتائج الخطية، وهى:

٤- فساد الطبيعة البشرية

فقدت الطبيعة البشرية نقاوتها الاولى، وبساطتها الاولى، وعرفت الخطيئة، واختبرتها، ودخلت فى ثنائية معرفة الخير والشر، وفى الصراع بين الجسد والروح، وهبطت إلى المستوى الجسدى أحيانا كثيرة . أصبح من السهل أن تخطىء ...

وقد رأينا فيما بعد، كيف أنهارت هذه الطبيعة البشرية، وانحدرت إلى مستويات مؤسفة، وتوارثت الوانا من الفساد، إلى أن وصلت إلى محبة الخطية، وإلى العبودية لها، وإلى أنكار الله، والجهل به .

وفقد آدم وحواء هيبتهما، وسلطتهما على الطبيعة، وعلى الحيوان، فتمردت عليهما الارض، وصارت تنبت لهما شوكا وحسكا، وتمرد عليهما الحيوان، وقامت عداوة معه ...

وظهر فساد الطبيعة البشرية أيضا فى أنحلالها، فى تعب الجسد وتعب النفس، وستبقى فى هذا الفساد إلى يوم القيامة حين «يلبس الفاسد عدم فساد» «١كو ١٥:٥٤» .

٥- تعب النفس

لأول مرة نسمع عن أمراض النفس: نسمع فى قصة آدم وحواء عن الشهوة، وعن الخوف، وعن الخجل «أى الخزى»، ثم عن معرفة آدم لحواء ... وعن سائر تعب الروح الذى ذكرناه فى تحليل خطاياهما .

وكل هذه كانت بداية، إلى أن نسمع فى قصة قايين، فى حياة أبوية آدم وحواء، عن الحسد والغضب والقتل، وعن القلق والرعب وفقدان السلام الداخلى «تك ٤»

وبدا أن امراض النفس والروح قد أخذت تزداد، كمظهر من مظاهر فساد الطبيعة البشرية

http://coptic-treasures.com

٦- تعب الجسد

أصبح آدم يأكل خبزة بعرق جبينه. يعمل فى الأرض وبالتعب يأكل منها كل أيامه...

وأصبحت حواء بالوجع تلد أولادا، كما قال لها الرب «تكثيرا أكثر أتعاب حبلك» «تك ٣:١٦».

وثمة تعب آخر، هو شهوات الجسد وغرائزة وأشتياقاته...

وقبل الخطيئة، لم يكن هناك تعب، ولا وجع ... وما هذا كله إلا مظهر آخر لفساد الطبيعة البشرية.

* * *

وبدا أن الحية لم تصدق فى خداعها. فبدلا من أرتقاء الانسان ليصير مثل الله ... انحدر إلى أسفل.

وكان انحدار آدم وحواء، هو «مبتدأ الأوجاع»

ولم يعد هناك من حل، سوى أنتظار الخلاص الذى يأتى به المسيح، حيث ينضح علينا بزوفاه فنطهر، ويغسلنا فنبيض أكثر من الثلج، ويمنحنا بهجة خلاصه «مز ٥٠».

http://coptic-treasures.com

http://coptic-treasures.com

٢

هابيل

أول من وصف بأنه بار

«عب ١١: ٤»

وأخوه قايين

أول قاتل على الارض

«تك ٤: ٨»

http://coptic-treasures.com

لا شك أن قصة قايين وهابيل، هى من القصص المؤثرة، لأنها تمثل أول حادث قتل يحدث بين أخين، بل بين شقيقين، من أب واحد وأم واحدة، ولم يكن يوجد فى الأرض أخوة غيرهما ... أى أن قايين لم يكن له فى الدنيا سوى أخيه هابيل، ومع ذلك قام عليه وقتله ...!

كيف دخلت الخطية؟ وكيف بدأت؟ وكيف تطورت؟ وماذا كانت نتائجها؟

لقد ولد قايين ميلادا حسنا، وسمى قايين. لأن أمه أعتبرت أنه قد أقتنته من الرب «تك ٤:١»، أى حصلت عليه من الرب ... وكان قايين عاملا فى الأرض، وكان أخوه هابيل راعيا للغنم.

وظل هذان الأخوان يعيشان معا فى هدوء، الى أن دخل بينهما نوع من التنافس ... لقد قدم كل منهما قربانا للرب، فقبل الرب قربان هابيل، ولم يقبل قربان قايين. فغضب قايين على أخيه هابيل وقتله ...

مشكلة هابيل، أنه إنسان مقبول من الرب.!

هكذا كانت مشكلة مريم أيضا، التى أختارت النصيب الصالح، وجلست عند قدمى المسيح، فرضى عنها. واستاءت أختها مرثا ووجهت اليها اللوم وغضبت عليها ...!

ما ذنب مريم، إذ جلست عند قدمى المسيح ورضى عنها، وما ذنبها إذا كان عمل مرثا ليس فى مستوى عملها؟!

قايين وجد أن قربانه غير مقبول كأخيه، فدخله الحسد ... وكان هذا الحسد بدء الشر الذى دخل قلبه، وانتهى به إلى قتل أخيه. وربما كان الحسد أيضا هو الذى دفع الشيطان إلى إسقاط آدم وحواء، إذ رأى أن الله قد أحبهما وباركهما، وأعطاهما سلطاناً ومركزاً، وقد خلقهما على صورته ومثاله، فحسدهما الشيطان، ودبر خطته لاسقاطهما. ولذلك نقول فى القداس الالهى «والموت الذى دخل إلى العالم بحسد ابليس، هدمته ...».

مساكين هم الأشخاص الذين يسيرون فى طريق الرب، لأن الشر يتضايق من نجاحهم ومحبة الله لهم، فيدبر لهم ما يشاء أن يدبر ... إنه حسد الشياطين وأعوانهم ...

سواء فى ذلك آدم، الذى حسده الشيطان فى الجنة ... أو هابيل البار، الذى قدم لله قربانا أفضل من أخيه قايين، فحسده أخوه وقتله.

أو داود، إذ مسحه صموئيل ملكا، ونجح فى حياته، فتضايق اخوته، وتضايق أيضا شاول الملك، ودبر لقتله ...

http://coptic-treasures.com

أو يوسف الصديق، إذ كان انسانا موهوبا، ومحبوبا عند أبويه، فحسده اخوته، وباعوه كعبد...

أو السيد المسيح نفسه، الذى كان يجول يصنع خيرا: فإذ رأى الكهنة أن «الكل قد ساروا وراءه»، حسدوه، وجمعوا عليه شهود زور، واتهموه باطلا، وقدموه للصلب..

وهكذا كانت مشكلة هابيل، أن قربانه كان مقبولا أمام الله، فتضايق أخوه، ويقول الكتاب فى ذلك: **«فأغتاظ قايين جدا، وسقط وجهه» «تك ٤:٥»**

اذن قايين لم يكن يسعى إلى محبة الله، وإلى ارضاء قلب الله، انما كان يبحث عن كرامته الشخصية ورضاه عن نفسه وعن مركزه.

لو كان يبحث عن محبة الله، لكان فى حالة رفض الله لقربانه، أن يفتش كيف يرضى الرب، ولا مانع من أن يغير قربانه، ويقدم ذبيحة كهابيل، ويحسن تصرفه. ولعل هذا ما قصده الرب بقوله له «إن أحسنت، أفلا رفع» «ع ٧» أى أفلا يرتفع وجهك، إن أحسنت التصرف، وإن أحسنت التقدمة، وإن أحسنت التفكير والشعور...

كانت أمامه فرصه لتحسين موقفه، ولكنه لم يستغلها، ولم يستفد من توجيه الرب، الذى تنازل وكلمه..

كان أمامه أن يتضع، ويشعر أن قربانه «من ثمار الأرض» ليس هو حسب مشيئة الرب، وانما مشيئة الرب هى أن يقدم ذبيحة، محرقة سرور للرب، كما فعل أخوه البار هابيل. ولكن قايين لم يشأ أن يعترف بينه وبين نفسه أنه مخطىء فى تقدمته، وأنه يجب أن يسلك كأخيه. انما ركز على كرامته.

كانت ذاته تتعبه. وليته كان يحب ذاته محبة سليمة!

إن الذى يحب ذاته محبة حقيقية طاهرة من الكبرياء والعناد، لا مانع مطلقا من أن يصحح لهذه الذات أخطاءها، ويعمل على تطهيرها من نجاساتها. أما محبة الذات الممتزجة بالكبرياء، فإن كبرياءها تعميها عن رؤية أخطائها، فتظل كما هى، وتصر على سلوكها...!

وهكذا كان قايين، محبته لذاته، حطمت هذه الذات...

محبة جاهلة، غير حكيمة، لا تعرف النافع لها من الضار... وقديما فكر الشيطان فى ذاته، فقال «أصعد إلى السموات، أرفع كرسى فوق كواكب الله... أصير مثل العلى» «أش ١٤:١٣،١٤». وبهذه المحبة الخاطئة لنفسه، ضيع نفسه...

وبالمثل أحب الانسان الأول ذاته محبة خاطئة. وإذ أراد أن يصير مثل الله عارفا الخير والشر» أضاع هذا الأنسان نفسه، وطرد من الجنة، ودخل فى حكم الموت.

http://coptic-treasures.com

قايين أيضا، ركز كل تفكيره فى ذاته، كيف يتفوق عليه أخوه ويحظى برضى الرب، فرأى أن يتخلص مق أخيه ...

يتخلص من هذا البار، الذى كلما يراه تصغر نفسه ويشعر أنه أقل ... ورأى أنه إذا تخلص منه، لا يبقى أمامه شخص أفضل، يثير حسده.

كانت كبرياء الذات، أهم عنده من نقاء الذات.

لقد نبهه الرب إلى أن هناك «خطية رابضة». وقال له بكل وضوح «وإن لم تحسن، فعند الباب خطية رابضة، واليك اشتياقها، وأنت تسود عليها».

مازال فى متناول يدك أن تتخلص منها...

إن الخطية ما زالت على باب فكرك، وعلى باب قلبك، وعلى باب ارادتك. وما زالت ارادتك فى يدك، وأنت تسود عليها ... فاحذر لنفسك قبل أن تتورط...

ما أعمق هذا الحنو، فى معاملة الله للخطاة...

إنه يظهر لقايين، أول أنسان هلك على الارض. ويكلمه، ويشرح له التجربة التى أمامه، وينصحه، بل ويناقشه أيضا: «لماذا أغتظت؟ ولماذا سقط وجهك؟ ليس السبب راجعا إلى أخيك، بل يرجع اليك أنت نفسك. أنك لم تحسن التصرف. وإن أحسنت سيرتفع وجهك. علاج مشكلتك فى أن تغير مسلكك وتحسن التصرف، وليس فى أن تستسلم للخطية ... احترس لنفسك. عند باب قلبك وفكرك توجد خطية رابضة. حاول أن تنتصر عليها. فأنت مازلت تسود عليها...

حنو من الله، أن يظهر للخاطىء، ويشرح له، ويحذره قبل أن يسقط، ويريه طريق التخلص من خطيته، ويسنده بنصائحه فى وقت تجربته ومحاربة العدو له.

قد يخطىء البعض، ويظن أن الله لا يظهر إلا للقديسين!

إن ظهوره لقايين قبل سقوطه فى خطية القتل، وتحذيره له، إنما هو مثال عجيب لمحبة الله وطول أناته، فى العهد القديم، بل منذ بدء الخليقة...

وكأنه يقول لقايين: تعال يا حبيبى، لماذا أنت مغتاظ، ولماذا يسقط وجهك؟ أنا أريد أن أخلصك من غمك، وأعيد اليك سلامك. إن الخطية هى التى أفقدتك سلامك. تخلص منها، يرجع اليك سلامك...

لا تظن أن هابيل هو سبب متاعبك ... كلا، إن متاعبك سببها الخطية الرابضة. فأفحص نفسك جيدا...

سبب متاعبك، يكمن فى طريقة نظرتك إلى الأمور، وفى ردود الفعل داخلك ازاء نجاح أخيك..

http://coptic-treasures.com

لو كانت فى قلبك محبة، لكنت تفرح وتسر، إن رضى الرب على أخيك، فلا تغتم ولا تغتاظ. بالمحبة، تفرح لفرح أخيك، وتفرح لرضى الرب عليه ...

لكن قايين لم يفرح لفرح أخيه، ولقبول قربانه ...

مثاله كان الابن الأكبر، الذى لم يفرح إذ قبل الأب أخاه الأصغر، وألبسه الحلة الأولى، وجعل خاتما فى أصبعه، وذبح له العجل المسمن ...

ذلك الأخ أيضا اغتاظ، ولم يكن قلبه مستقيما تجاه أخيه، وكان يفكر فى ذاته وليس فى أخيه، ونفس الحسد أتعبه ...

حقا، إنها قصة متكررة، تحدث فى كل جيل، سببها عدم نقاوة القلب، والاستسلام لمشاعر الغيرة..

لماذا يكون نجاح أخيك، له رد فعل خاطىء فى قلبك؟! «كان ينبغى أن تفرح وتسر» لأن الله قبل قربان هابيل ... كان ينبغى أن تفرح أيضا لأن هابيل قد كشف لك الطريق الصالح الذى يرضى الرب، حتى تسير فيه أنت أيضا، وتحصل على نفس الرضى والقبول..

العجيب أن قايين، بعد أن كلمه الله، لم يستجب لكلمة الله، ولم يفتح لها قلبه، بل فتحه للخطية ...

بعد أن نصحه الرب، لم يستفد من النصيحة، وانما تورط فى الخطية، بالأكثر، وقام على أخيه فقتله!

إنه يذكرنا بالشيطان فى قصة أيوب الصديق، لما وقف أمام الله، ولم يستفد من وجوده فى حضرة الله شيئا. وخرج من عند الله لكى يتعب أيوب الكامل والمستقيم، ويهدم له بيته، ويقتل له أولاده، ويضيع كل غناه ... وبعد أن وقف ثانية أمام الله، ازداد فى شره، وضرب أيوب بقرح ردىء، دون أن يستفيد شيئا من اللقاء مع الله وسماع كلمته ...!

يذكرنا أيضا بيهوذا الاسخريوطى، الذى لم يستفد من عشرته للسيد المسيح، ولا من أكله معه، وغمسه لقمته فى نفس صحفته، ولم يستفد من كلام الرب وتحذيراته، وقام بعد العشاء ليخون سيده ويسلمه!

وسائط النعمة يستفيد منها من يشاء، ويرفضها من يشاء. إنها لا ترغم الانسان على عمل الخير...

الشاب الغنى، تقابل مع السيد الرب، وسمع نصيحة نافعة من فمه الالهى، ولكنه بعد سماعها مضى حزينا، ولم يقل الكتاب أنه نفذ شيئا من تلك النصيحة ...

http://coptic-treasures.com

أمر محزن ومخجل، أن يسمع أنسان نصيحة من فم الرب نفسه، ثم يمضى حزينا، ولا ينفذ. هكذا قايين أيضا...

اذن، فلا يجوز أن يحتج أحد ويقول «مشكلتى الوحيدة هى عدم وجود مرشدين روحيين. لو كان لى مرشد روحى حكيم، لصرت قديسا»..

هو ذا أمامنا أمثلة لأشخاص أرشدهم الرب نفسه، ولم يستفيدوا، لأن القلب رفض أن يستجيب مثل الارض التى القى عليها البذار الرب نفسه، فأنتجت شوكا ... أو سمحت للشوك أن يخنق زرعها، وللطير أن يلتقط بذارها...

لقد تقابل قايين مع الرب، وللأسف لم يستفد. سعى الرب اليه، وأراه الطريق، ولكنه رفض أن يسير فى طريق الرب، ولم يستجب إلا لفكر قلبه الردىء

المشكلة تكمن فى عدم وجود استعداد داخلى.

لا تقل «اننى أذهب إلى الكنيسة ولا استفيد».. لأن غيرك يذهب ويستفيد. لو كنت تريد أن تستفيد لأستفدت. إن لم تستفد من القداس، يمكنك أن تستفيد من العظة. وإن لم تستفد من العظة، يمكنك أن تستفيد من مجرد القراءات، بل من مجرد الوجود فى الكنيسة، فى جو روحى ... بل يمكنك أن تستفيد — لو أردت — من منظر الأيقونات، ومن الشموع ... أو على الاقل تخلو إلى نفسك مع الله، ولو لحيظات...

وهكذا، لأن قايين لم يكن لديه استعداد داخلى للاستفادة، لم ينتفع بكلمة الرب له...

لم تكن له أذنان للسمع، فلم يسمع...

ربما أثناء حديث الرب معه، كان منشغلا بالغيرة التى فى قلبه، وكان الحسد يسد أذنيه، وكان الأنفعال الداخلى أعلى صوتا فى قلبه، وكانت ذاته حائلا يحجب حكمة الوصية والنصيحة...

وكلم قايين هابيل أخاه» «ع ٨». ترى ماذا قال له؟

أتراه قال له «هيا بنا إلى الحقل، نقضى الوقت بعيدا عن الأسرة، معا ... بعيدا عن ملاحظة الأبوين ... على أية الحالات، لم يكن هابيل ينتظر خيانة من أخيه قايين. إنه شقيقه، يمكنه أن ينام إلى جواره ويغمض عينيه، دون أن يخشى شرا، فى ثقة بهذه الأخوة ... لو كان فى قلبه أدنى شك من جهته، لأحترس منه. ولكن حينما يأتى الشر ممن هم فوق مستوى الشك، حينئذ تكون المأساة أعمق وأكثر تأثيرا فى النفس...

http://coptic-treasures.com

«وقام قايين على هابيل أخيه وقتله». وهكذا تطورت به الخطية من سيء إلى أسوأ، وهو مستسلم لها...

تطور من غيرة، إلى حسد، إلى غيظ، إلى حقد، إلى فكر الشر، إلى تدبيره وتنفيذه، إلى قتل أخيه ... وبعد أن كانت الخطية رابضة عند الباب، دخلت إلى قلبه، وسيطرت على فكره ومشاعره وأعصابه وانفعالاته.

وبعد أن كان يسود عليها، صارت تسود عليه...

ودفعته الخطية فى طريقها، فخضع لها ونفذها ... وحينما نفذ، اختفت من أمامه كل المثل، لا محبة، ولا أخوة، ولا شفقة، ولا ارضاء الله...

وربما ظن قايين، أنه لا يوجد أحد يراه...

وأنه سوف لا يعلم أحد بجريمته، وأنه قد تخلص من هذا المتفوق الذى تصغر نفسه أمامه، وأن صوت هابيل قد سكت إلى الأبد.

وهابيل البار، لم يستطع أن يدافع عن نفسه

وهكذا بدا أن الشر قد انتصر على الخير...

وبدا أن الخير لم يستطع أن يدافع، فهزمه الشر...

نعم، إن الشر فى الأرض، يبدو دائما أكثر جرأة، وأكثر عنفا، وأكثر تسلطا. يعرف أن يضرب، ويعتدى، ويقتل ... والطرق أمامه مفتوحة كلها، بعكس الخير الذى يعف عن كثير من الوسائل التى يستخدمها الشر.

إن قصة قايين وهابيل، ترينا مدى إمكانيات الشر:

الشر يستطيع أن يدبر مؤامرات، وأن يتنكر لكل القيم، وأن يستخدم كل الوسائل مهما كانت خاطئة. يستطيع أن يخون، وأن يخدع، وأن يعتدى، وأن يقتل. ومع كل ذلك يجرؤ أن يستر فعلته بالأكاذيب. ويقول فى جرأة حتى أمام الله «أحارس أنا لأخى»؟!...

الشر استطاع بالنسبة إلى السيد المسيح نفسه، أن يقدم تهما باطلة، وأن يحضر شهود زور، وأن يتملق قيصر، وأن يثير الشعب كله، وأن يصلب البار

والشر استطاع أن يغتصب نابوت اليزرعيلى، وفى نفس الوقت يلفق له تهما تجعله يستحق الموت...!

http://coptic-treasures.com

نعم، إن الشر قد ينتصر على الخير ... ولكن القصة لها تكملة ... وتكملتها إن الله موجود، وأنه يحكم للمظلومين.

ربما لم يحسب قايين حسابا لوجود الله ولتدخله، وظن أن الموضوع بينه وبين هابيل فقط، وليس من ثالث يتدخل بينهما، لكى يكمل القصة، ويقيم التوازن.

هذا الثالث العادل، تدخل بين الخير والشر...

تدخل ليحاسب ويحاكم، ويعاقب، ويشرح للشر أن الأمر لم ينته بعد، وأن هناك قوة أكبر، وأن هناك عينا ترى، وقضاء يحكم. وأن الله لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين.

وأثبت هذا الثالث، أن انتصار الشر هو انتصار زائف ومؤقت، وأن العبرة بالنهاية، والنهاية هى انهيار الشر.

اذن، لا تفقد الرجاء أبدا. إن أصابك شر، وحتى إن قوى الشر عليك، وعلى ظهرك جلدك الخطاة وأطالوا اثمهم، فلا يتزعزع قلبك. ثق أن الله يرى ويسمع، ويكتب أمامه سفر تذكرة «مل ٣:١٦». وثق أن الرب صديق هو يقطع أعناق الخطاة «مز ١٢٨»...

لا تنظر الى أوائل الأشرار، وانما إلى نهايتهم ... وأسأل نفسك: من الذى أنتصر: قايين أم هابيل؟

هابيل كتب اسمه فى سفر الحياة وهو «وإن مات، يتكلم بعد» «عب ١١:٤». أما قايين فعاش على الأرض معذبا طول أيامه، قلقاً، خائفا، فاقدا سلامه. وانتظرته عذابات فى الأبدية أشد إيلاما.

إن الشر قد يرتفع على الخير، ولكنه يتبدد: كمثال النار والدخان. الدخان يرتفع إلى فوق وفيما هو يرتفع، تتسع رقعته، وتقل حدته، وينتشر فيندثر ويضعف ويختفى. أما النار، وإن ظلت تحته، إلا أنها تستمر بعده فى قوتها وفى نقاوتها. إنها أقوى وأشد حرارة ... ولا تبالى بصعود الدخان إلى فوق، فوقها..

فرق كبير بين كبرياء الدخان، فى ارتفاعه وضعفه وتبدده، وبين تواضع النار ورزانتها وقوتها...

قايين المرتفع على هابيل، الذى كان يبدو أقوى منه، لم يعمل حسابا لتدخل الله...

http://coptic-treasures.com

هابيل لم يدافع عن نفسه، فدافع الله عنه

لم يرو لنا الكتاب أن هابيل دافع عن نفسه، أو أنه قاوم الشر، أو حتى انه شكا أو أستنجد أو استغاث. لقد لاقى مصيره فى صمت، ومات بيد أخيه...

ولكن القصة لم تتم فصولا. إذ أن الله واجه قايين وسأله «أين هابيل أخوك؟».

فأجاب «لا أعلم، أحارس أنا لأخى؟!»...

وهكذا قادته خطية القتل إلى خطية الكذب، فكذب على الله نفسه، وقال له لا أعلم، وهو أكثر الناس علما بمصير أخيه!.. أو كان الوحيد من البشر الذى يعلم بمصير أخيه!!

كان قايين كفأر فى مصيدة، يحاول أن يفلت فلا يستطيع. أنه يتلمس طريقا للهروب من مسئولية جريمته. يدعى عدم المعرفة. يدعى أنه غير مسئول عن أخيه وعن حراسته!! لقد أمسكه العدل الالهى. فأخذ يكذب على فاحص القلوب والكلى، والعارف بالخفيات والظاهرات، على الله الذى أنذره من قبل ولم يسمع...

حقا، إن الكذب هو الابن البكر لكل خطية. هو الغطاء الذى يحاول الخاطىء أن يغطى به على خطيئته فلا تظهر...

إنه أسهل طريقة، وأول طريقة، يحاول بها أن يهرب من المسئولية، من العقوبة، أو من العار والفضيحة ... يندر أن يوجد خاطىء لا يكذب. الذى يعترف بخطيئته، هو التائب. أما الخاطىء المستمر فى خطيته فإنه يكذب ليسترها.. ولكننا نفهم أن يكذب خاطىء على إنسان مثله. أما أن يكذب على الله نفسه، فهذا أمر خطير له دلالته.

إن كذب قايين على الله، يدل على بعده عن الايمان. إنه لا يعرف من هو الله، وما هى قدرته، وما هو علمه غير المحدود!

والعجيب أن الله هنا لم يجرح شعور قايين، ولم يقل له إنه كذاب. بل لم يجادله اطلاقا فى كلامه، وانما واجهه بالحقيقة التى تكشف كذبه، فقال له «صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض»... إن هابيل لم يتكلم، ولكن دمه له صوت، صارخ من الأرض...

قد يصمت المظلومون. ولكن صمتهم له صوت صارخ إلى الله.

والله يسمع هذا الصوت، صوت صمتهم الصارخ ... إن يوسف الصديق قد ظلمه اخوته، وظلمته امرأة فوطيفار، وصمت ... ولكن صمته كان يصرخ إلى الله، وسمع الله، وتدخل لينقذه من الظلم.

http://coptic-treasures.com

والعمال الذين بخست أجورهم، يقول الكتاب إن هذه الأجرة المبخوسة تصرخ، والصراخ قد دخل إلى أذنى الرب «يع ٥:٤»·

إن الله يقاتل عنكم وأنتم تصمتون، لأنه يسمع صوت صمتكم·

إذا ظلم أنسان وسكت، فلا تظن أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد· فإن صوت سكوته يرن فى أذنى الرب، يقول الوحى الإلهى «من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين، الآن أقوم يقول الرب — أصنع الخلاص علانية» «مز ١١»· نعم، قم أيها الرب الإله، وليتبدد جميع أعدائك، وليهرب من قدام وجهك كل مبغضى اسمك القدوس··

«صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الارض· فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك»
هنا بدأت العقوبة· هنا يجد الشر من يقف فى طريقه، ويقاومه «لى النقمة، أنا أجازى يقول الرب»·

إن لم يجد الشر رادعا على الارض، فهناك رادع من السماء·

ولأول مرة هنا يلعن الرب انسانا ··· عندما أخطأ آدم قال له ملعونة الأرض بسببك، ولكن لم يلعنه شخصيا·

لعنت الحية، والأرض، ولأول مرة هنا يلعن الانسان·

كان قايين قد فقد الصورة الإلهية نهائيا، الصورة التى كانت للانسان حينما خلق على شبه الله ومثاله ···
وبلعنته، لعن كل نسله أيضا، وأصبحوا يدعون أولاد الناس، بينما دعى أولاد شيث «أبناء الله» «تك ٦:٢»· واستمرت هذه اللعنة، حتى أفنى الله كل أبناء قايين بالطوفان·
«ملعون أنت من الأرض، التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك»· هذه الأرض التى تنجست بجريمة القتل، وقبلت الدم المسفوك:

«متى عملت الأرض، لا تعود تعطيك قوتها» «ع ١٢»·

الأرض تتمرد عليك، ولا تعطيك الخير الذى تقدر عليه ··· بدلا من أن تعطيك عشرين أردبا، تعطيك أثنين أو ثلاثة· لا تجد بركة فى عمل يديك، ولا بركة من خير الأرض وثمارها ··· بالنسبة إلى البار، قال الرب «مباركة تكون ثمرة أرضك» «تث ٢٨:٤»· وبالنسبة إلى الخاطىء، لعن الله ثمرة الأرض «تث ٢٨:١٨» ··· فلا تعود تعطيك قوتها···

http://coptic-treasures.com

إن ثمار الأرض فى يد الله، يباركها حينما يشاء، مثلما بارك غلة العام السادس، فكان يكفى ثلاثة أعوام...

أما اذا سلك الانسان فى الخطية، فقد يعاقبه الله بتمرد الارض عليه، فلا تعطيه قوّتها، لا تعطيه خيرها، كما تمردت من قبل على آدم، وصارت تنبت له شوكا وحسكا.

المسألة اذن لا تنحصر فقط فى خبرة الانسان بالزراعة، ومدى اتقانه لعمله فيها وخدمته لها، إنما يحتاج أيضا إلى بركة. وتتبارك الارض متى أرضى قلب الله، وإلا فإنه متى عمل الأرض لا تعود تعطيه قوّتها. لهذا نحن نصلى من أجل ثمار الأرض، لكيما يصعدها الله كمقدارها. ويفرح وجه الأرض، فتكثر أثمارها».

لقد لعن الرب قايين، وأمر الأرض أن تتمرد عليه، وماذا أيضا عن باقى عقوباته؟ قال له الرب:

«تائها وهاربا تكون فى الأرض»...

تفقد سلامك الداخلى. تحيا فى قلق وأضطراب وخوف تجرى وليس من مطارد. تشعر أن كل من وجدك سيقتلك. وهكذا بدأت الأمراض النفسية تعمق جذورها فى الأنسان

فى خطية آدم، دخله الخوف، الخوف من الله وعقوبته أما فى خطية قايين، فقد دخله الخوف من الناس، أو الرعب بمعنى أصح «يكون كل من وجدنى يقتلنى»... «ع ١٤».

لا سلام، قال الرب، للأشرار...

الخاطىء يعيش منزعجا باستمرار. يخاف أن تنكشف خطيئته ويعرفها الناس. يخاف من الفضيحة والعار والسمعة السيئة. يخاف من العقوبة، سواء عقوبة القانون، أو أنتقام من أساء إليها. يرتعب من نتائج أخرى لا يعرفها. يصور له الأضطراب أمورا أخرى كثيرة ستحدث ... وأعداء كثيرين يطاردونه.

داخله يزعجه أكثر من أى أزعاج خارجى...

أيهما لاقى العذاب أكثر: قايين أم هابيل.

هابيل قاسى الألم ربما لحظة أو لحظات. ضربة قاتلة أصابته فمات. أما قايين فإنه عاش العمر كله يتألم ويتعذب، ويحطمه القلق والخوف والرعب والأضطراب. هابيل تألم بالجسد قليلا. أما قايين فإن نفسه تعذبت من الداخل، ولا شك أن عذاب نفسه كانت له نتائجه على الجسد أيضا..

هذه إحدى عقوبات الخطية تطارد الأنسان.

http://coptic-treasures.com

«فقال قايين للرب: ذنبى أعظم من أن يحتمل. إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفى. وأكون تائها وهاربا فى الأرض، فيكون كل من وجدنى يقتلنى»..

نلاحظ هنا أن عبارة «ذنبى أعظم من أن يحتمل» لم تكن عبارة توبة، انما خوف من العقوبة...

أى أن العقوبة أعظم من احتماله، عقوبة أن يكون تائها وهاربا فى الأرض، ومهددا من كل أحد بالقتل ... لذلك فإن الله الرحوم، الذى يشفق على القلوب القاسية إذا ما تذللت أمامه، طمأن قايين الخائف «وجعل له علامة لكى لا يقتله كل من وجده» «ع ١٥». بل قال له أيضا «كل من قتل قايين، فسبعة أضعاف ينتقم منه»

ونلاحظ أن قايين لم يطلب مغفرة لخطيئته، بل أنه لم يقل عبارة أخطأت. كل ما أتعبه هو العقوبة...

وإذ جعل له الرب علامة لكى لا يقتله كل من وجده، «خرج قايين من لدن الرب، وسكن فى أرض نود». وسكن معه الخوف والرعب كل أيام حياته. لقد قتل أخاه فى لحظات. ولكن الخوف ظل يقتله كل يوم وكل ساعة وكل لحظة ... وظلت خطيئته أمامه كل حين، لا تقوده إلى التوبة إنما تحطمه بالخوف. فمن أخذ بالسيف، بالسيف يؤخذ..

هناك مجرمون يتمنون العقوبة، هربا من الأنزعاج الداخلى. وقد يسلمون أنفسهم للعدالة ويعترفون غير محتملين عذاب الضمير أو عذاب النفس.

داود، قد غفر له الله خطيئته، ونقلها عنه، وسامحه من جهة العقوبة الأبدية. ولكن بشاعة الخطيئة ظلت أمامه فى كل حين، وبسببها يبلل فراشه بدموعه، ويمزج شرابه بالدموع...

وظل قايين يطارده الخوف، وترن فى أذنيه كلمات الرب «تائها وهاربا تكون فى الأرض».

وأصعب من طرده من وجه الأرض، أنه طرد من وجه الله أيضا، فمن وجه الله يختفى...

فالخطية هى انفصال عن الله...

http://coptic-treasures.com

والخاطىء ينفصل بخطيئته عن الله . يختفى الله من حياته، ويختفى هو من أمام وجه الله . يوجد حاجز كبير بينه وبين الله . ويشعر بهذا الفاصل، ويفقد الدالة ومشاعر الحب . . .

ولا ينكسر هذا الحاجز إلا بالتوبة، فيصرخ الانسان قائلا للرب: إلى متى تحجب وجهك عنى . . .

ولكن الكتاب لم يقل إن قايين قد تاب، ولم يقل إنه عاد فأصطلح مع الله . ولم يقل إن اللعنة زالت عنه، أو أن الرب عاد فرضى عليه . لقد كان أول أبن لآدم وحواء بعد خطيئتهما، وللأسف كان ابنا للهلاك . كان أول قاتل، وأول انسان ملعون، وأول انسان استحق العقوبة الأبدية، إلى جوار عقوبته على الأرض .

إنه لم يقتل هابيل، انما فى الواقع قد قتل نفسه . . . وهابيل لم يمت، بينما قايين أول أنسان مات، موتا أبديا .

هل تظنون أن هيرودس قد قتل يوحنا المعمدان ؟ أم الواقع أن هيرودس قد قتل نفسه . قتل روحه وحياته وأبديته . أما يوحنا فهو حى فى الفردوس يتنعم . . .
إن الانسان الذى يخطىء إلى غيره، إنما يخطىء إلى نفسه .

وما أقل الخطاة، الذى يشعرون أنهم يحطمون أنفسهم . . .

فليعطنا الرب بركة هابيل البار، أول من ذكر له الكتاب أنه قدم محرقة للرب، وذبيحة مقبولة، نذكرها باستمرار فى كل قداساتنا . فنقول فى مقدمة أوشية بخور باكر «يا الله، الذى قبل اليه قرابين هابيل الصديق . . . أقبل اليك هذا البخور من أيدينا نحن الخطاة» . . .

وذبيحة هابيل الصديق تعطينا فكرة عن أهمية التقليد Tradition فى الكنيسة . لأن هابيل فى تقدمته لم ينفذ وصية مكتوبة انما أخذها عن أبيه، الذى أخذها من الله .

لم تكن هناك وصايا مكتوبة أيام هابيل . ولكن كان هناك التقليد أو التسليم . جيل يسلم جيلا وصايا الرب . وظل الأمر هكذا فى كل ذبائح نوح وابراهيم واسحق ويعقوب وأيوب، إلى أن وصلت الينا الشريعة المكتوبة على يد موسى النبى، بعد آلاف من السنين عاشتها البشرية بالتقليد والتسليم من الآباء . .»
وجميل جدا هو قول الكتاب عن تقدمة هابيل البار: «**وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها**» «ع ٤» .

http://coptic-treasures.com

لقد قدم البار أفضل ما عنده للرب

بل إنه نفذ وصية البكور، قبل أن يقول الرب على يد موسى النبى «قدس لى كل بكر، كل فاتح رحم ... إنه لى » «خر ٢:١٣».

أتراه قدم البكور، بروح النبوة، قبل الوصية المكتوبة؟ أم تراه فعل ذلك عن طريق التقليد والتسليم أيضا؟ أم هو القلب البار الحساس الذى يدرك مشيئة الرب ورغبته، دون أن يتلقنها من معلم...؟

إنه هابيل الذى شهد له أنه بار، وشهد الله لقرابينه. وبه وإن مات يتكلم بعد «عب ١١:٤»

إنه هابيل، أول من قبل الرب منه، أول من نظر الله اليه والى قربانه «تك ٤:٤». إنه رمز لكل ذبيحة مقبولة، وكل قرابين مرضية للرب.

ولقد ذكره بولس الرسول فى مقدمة رجال الايمان: فقال «بالايمان، قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين» «عب ١١:٤». إذن لم تكن هذه الذبيحة مجرد أمر تعوده هابيل، أو تسلمه بلا فهم. وإنما كان عملا من أعمال الايمان «به شهد له أنه بار»...

إن هابيل يمثل الإيمان وهو بكر، فى بداية معرفته. إنه أول انسان فى العالم، وصف بكلمة الإيمان.

ترى ماذا كان الإيمان فى أيام هابيل؟...

إنه على أية الحالات كان بداية لذلك المبدأ اللاهوتى القائل «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» «عب ٩:٢٢»

الخطية كشفت عرى الانسان آدم، والذبيحة غطته، حينما صنع له الله أقمصة من جلد «تك ٣:٢١»، ورفض أن يغطى بورق التين، بشىء من ثمار الأرض.

وعرف هابيل هذه الحقيقة: الله يريد الدم لا ثمار الارض. فقدم الدم من أبكار غنمه ومن سمانها. بينما قدم قايين من ثمار الأرض. وكأنه لا يؤمن بما حدث لأبويه...

وكانت ذبيحة هابيل رمزا لذبيحة السيد المسيح.

وكان هابيل فى ذبيحته كاهنا للرب.

ولم يكن قايين كذلك...

http://coptic-treasures.com

ولم يذكر الكتاب خطية ارتكبها هابيل، إنما ذكر أنه بار إنه يذكرنا بالبر اللازم لمن يقدم ذبيحة للرب ... ويذكرنا بالبر الذى يناله كل من يقدم ذبيحة للرب

أنستطيع أيضا أن نقول إن هابيل كان أول شهيد: لقد قتل لأجل بره، بسبب ذبيحته التى قبلها الرب، ورضى عنها...

إنه أول دم بشرى يتقبله الرب

إنه باكورة الدماء الزكية المقدسة التى تقبلتها السماء.

إنه الباكورة التى قدمت بكورها للرب

وحسنا إنه أنتقل الى السماء بعد تقديمه الذبيحة.

انتقل وهو فى حالة بر، مقدس بالذبيحة التى قدمها.

وعزيز عند الرب موت أتقيائه...

http://coptic-treasures.com

كتب اخرى صدرت
للبابا شنوده الثالث

انطلاق الروح	«٤ طبعات»
الزوجة الواحدة	«٤ طبعات»
الوصايا العشر	«طبعتان»
الخلاص فى المفهوم الارثوذكسى	
مار مرقس الرسول	«طبعتان»
القمص ميخائيل ابراهيم	«مثل فى الرعاية»
يونان النبى	«طبعتان»
كلمات المسيح على الصليب	«طبعتان»
تسبحة اسبوع الآلام «لك القوة والمجد»	«طبعتان»
صلاة الشكر	
تأملات فى صلاة الغروب	«طبعتان»
تأملات فى الميلاد	
تأملات فى القيامة	
حياة السكون عند مار اسحق	
الغضب والاحتمال	
محبة المديح والكرامة	
نبذات روحية متعددة ...	

http://coptic-treasures.com

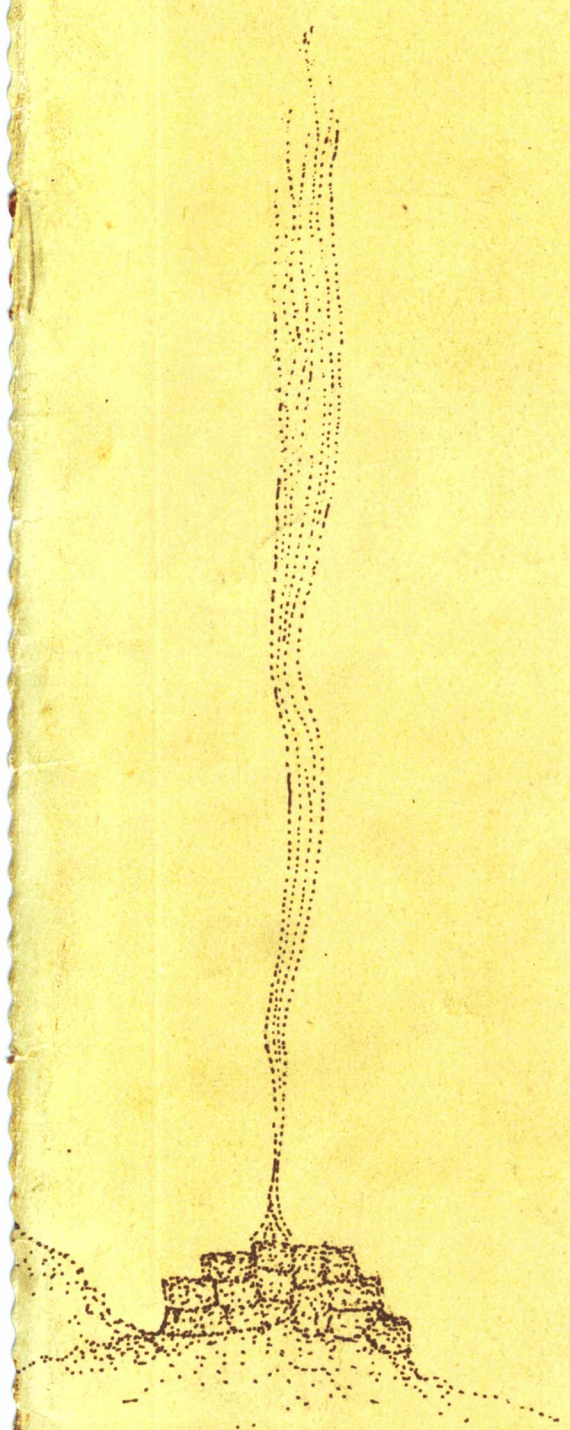

في سير قديسى الكتاب، لا نريد أن ندرس تاريخاً، انما نريد أن نمتص حياة.

ولقد كان الكتاب المقدس صريحا معنا، وواقعيا إذ قدم لنا قديسين، من نفس طبيعتنا، التى يمكن أن تخطىء وتسقط.

ولكن الخطأ فى حياة اولئك القديسين، كان أمراً عابراً، ولم يكن خطأ ثابتا.

والخطأ أعقبته صور رائعة من التوبة.

والكتاب يقدم لنا قديسين من كل نوع، ومن كل سن، ومن كل فضيلة.

تدرس فى حياتهم عمل النعمة الإلهية، كيف صاغتهم وكونتهم، أو كيف حولتهم من ضعفاء إلى اقوياء...

وندرس أيضا معاملات الله مع الناس...

نتركك إلى هذه الصفحات لتقرأ النفسية البشرية منذ آدم.

وليتك تحتفظ بهذه المجموعة كاملة، لكل شخصيات الكتاب، القديس منها وغير القديس.

الثمن: ٢٢ قرشاً

http://coptic-treasures.com